من
مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم

(القسم الأول)
مظاهر المباني الاستدلالية

الأستاذ المساعد الدكتور
محمد محمود عبود زوين

كلية الفقه ـــــ جامعة الكوفة

المقدمة

الحمد لله الذي فتـَّق جنائن العقول بسوابغ نعمه، وألهم بصائر عباده فطرة توحيده ، فأعزهم بمعرفته ، وكرمهم بطاعته ، وجعلهم آيةً من آيات خلقه ، وبرهاناً على سلطانه وحكمته ، وصلى الله على نبيه المؤيَّد ورسوله المسدد ، أبي القاسم محمد وعلى آل بيته الطيبين الأطهار ، وأصحابه الخلص الميامين المنتجبين

وبعد .....

فقد أسس القرآن الكريم قواعد المعرفة الاستدلالية ، وأصل لمظاهرها البرهانية في محكم آياته ورسخها في خطابه بأساليب كثيرة ، وطرائق مختلفة عمادها الجمع بين العقل والحس ، فمن جهة ترى أصالة منطق البرهان وعقلانيته ، ومن أخرى تلحظ أنه غير بعيد من روح الإنسان

ومشاعره ،فهو مشخص في نفسه ، ملموس في فاعليته الحياتية اليومية ، مدرك بحواسه الموصلة إلى التفكر والتدبر .

لقد امتاز الخطاب القرآني المعجز بمفاهيمه العقلية ، وأساليبه البيانية ، التي تمتلك نفوس المخاطبين بما لها من احتجاجات جمعت بين الدلائل الأنفسية ، والآيات الآفاقية في توكيد العقائد والشرائع السماوية ونقض ما عداها ، من خلال منظومة استدلالية برهانية متكاملة الأبعاد ، ولا أحسب قضية قرآنية إلا وتجد لها طريقا من فرائد الاستدلال ، وبينة من نوادر الآيات ؛إيضاحا لمقاصدها ، فتبصرها أقرب للقلوب ، وأرسخ في العقول ؛ لأنها متجانسة مع فطرة الإنسان ولبابه .

فالمتأمل بكتاب الله المجيد تأسره مظاهر الاستدلال الذي يسخر هذا الوجود بأكمله ويوظفه ويقدمه للإنسان ــ المخصوص بخطاب القرآن ــ معقلنا متناسبا مع جبلته ؛ سعيا في بنائه النفسي والسلوكي ،وصناعة النموذج المثالي في وعيه لنفسه وإدراكه لما حوله في هذا الوجود سواء ما كان منه ومضى، أو ما هو كائن ، وما سيكون ولو بعد حين .

وعلى أية حال فقد قامت هذه الدراسة على بحث ملامح ((من مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم)) قصداً لاستكشاف جوانب المنظومة الاستدلالية ومحاولة المقاربة بين مبانيها ومعانيها التفسيرية ،وأسس علة البحث وفرضيته لا تفارق هذه الغائية والقصدية في الاستكشاف ، بل تنهض اعتماداً عليه ، وتقوم على استكناه معالم أبعاده ؛ ولذا جاء البحث في تمهيد وقسمين فضلا عن المقدمة والخاتمة وقائمة المصادر والمراجع ، وقد عرَّف التمهيد بمصطلح (الاستدلال في اللغة والاصطلاح والاستعمال) وأشار إلى علاقاته الدلالية والألفاظ المتداخلة معه ، ودرس القسم الأول (مظاهر المباني الاستدلالية في القرآن الكريم) من خلال المنظومة الاستدلالية واستعرض حلقاتها وأوضح بنيتها النظرية والعملية ، وشمولية تجسيدها, وأركان الاستدلال .

وعقبت على القسم الأول بالثاني الذي ناقش (مظاهر المعاني الاستدلالية في القرآن)مجليا عيون الدلالات التفسيرية التي استلهم تعضيدها بنظرات المفسرين والعلماء والباحثين ، واجتهدت في المقاربة بينها وما انتهيت إليه في المبحث الأول .

أما الخاتمة فقد أنبأت عن أهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث ، وقد استفرغت وسعي في الحصول على المصادر والمراجع ذات العلاقة .

أخلص إلى إقراري على نفسي بالقصور والتقصير أمام عظمة كتاب الله وبيانه ، وحسبي أنني حاولت أن أرتشف من معينه ، وأغرف من سعة رحمته ،والحمد لله أولا وآخرا .

الباحث

التمهيد

الاستدلال
في
اللغة والاصطلاح
والاستعمال القرآني

الاستدلال في اللغة والاصطلاح :

الاستدلال في اللغة : الأصل في المصطلح (دَلَل) الثلاثي ،ومنه الدليل[1]: ما يستدل بـه ،والدليل الدالّ ،وقد دلّه على الطريق ، يدُلّه دَلالَةً ودِلالةً ،ودَلُولةً ،والفتح أعلى[2]

ولا يخفى معنى (دَلّهُ على الطريق) تعني الإرشاد والهداية إليه . ويبدو أن الاستعمال الأفصح والأكثر هو الفتح على أن الكسر و الضم صحيح الاستعمال ولكن أقل شهرة من الأول . والجمع له " أدِلّة ،وإدِلاّء ،والاسم الدلالة ،والدلالة بالكسر والفتح . والدُّلَولَة والدَّليلي :قال سيبويه : والدَّليلي : علمه بالدلالة رسوخه فيها ، وفي حديث علي (رضي الله عنه)في صفة الصحابة (رض) : (ويخرجون من عنده أدلة)، وهو جمع دليل أي :فيَدُلّون عليه الناس ، يعني يخرجون من عنده فقهاء،فجعلهم أنفسهم أدلةً مبالغة،ودللت بهذا الطريق : عرّفته"[3] ولا يخفى معنى المبالغة في الجمع والاستعمال فضلاً عن رسوخ المعرفة وإيصالها إلى طالبيها .

ويبيّن الراغب الأصفهاني معنى الدلالة وأقسامها بقوله "الدلالة : ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى،ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالةً أو لم يكن بقصد كمن يرى حركة ألإنسان فيعلم أنه حيّ "[4] ، ٹ ٹ چ □ □ □ ى ى ي ي □ چ سبأ: ١٤ ويحدد العلماء معاني متقاربة للدليل وهي الإرشاد والهداية يقول الكفوي : "الدليل :المرشد إلى المطلوب يذكر ويراد به الدال ، ومنه (يادليل المتحيرين) أي: هاديهم إلى ما تزول به حيرتهم ،و يُذكر ويراد به العلامة المنصوبة لمعرفة المدلول ،منة سمي الدخان دليلاً على النار "[5]

والاستدلال: طلب دلالة الدليل ،كالاستغفار طلب المغفرة ، والاستنصار طلب النصرة ،ولاتخفى زيادة الحروف ((الألف،والسين، التاء)) في دلالتها على الطلب

"و إذا كانت لفظة (الدلالة) في اللغة تعني : الإشارة ، ولفظة (الدليل) تعني المرشد والوصول إلى المطلوب ،فالاستدلال عبارة عن : طلب الاشاد والاهتداء إلى المطلوب " [6]

الاستدلال في الاصطلاح :

استعمل مصطلح (الاستدلال) وتداولته بيئات معرفية متعددة[7]، فقد عرّفه الاصوليون ،والفلاسفة، والمناطقة والمتكلمون ، وأهل الأدب والبلاغة ، فضلاً عن اللغويين فهو "من المفاهيم العابرة للاختصاصات والعلوم وفروعها في مختلف المنظومات العلمية والثقافية ،ولئن

---

[1]) الدليل لغة :المرشد والموصل إلى المطلوب.
واصطلاحا: له معنيان احدهما أعم من الآخر مطلقا ، فالأول الأعم هو :ما يمكن التوصل اليه بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري ، وهو يشمل القطعي ، والظني وهذا المعنى هو المعتبر عند الاكثر.
والثاني الأخص هو : ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى العلم بمطلوب خبري ، وهذا يختص بالقطعي المسمى بالبرهان .ظ/ الاستدلال عند الأصوليين /٢٠ وانظر مصادره.

[2]) لسان العرب /مادة (دلل)،ظ كذلك :تاج العروس /مادة (دلك) الصحاح/ مادة (دلل) وغيرها.

[3]) لسان العرب /مادة دلل

[4]) مجمل قول الراغب هذا تعريف للدلالة وبيان لأقسامها ،والدلالة لأتخرج عن المعنيين " الأول: كون أمر بحيث يفهم منة أمر آخر ، و إن لم يفهم بالفعل ،المراد بالأمر الأول : الدال ، وبالثاني :المدلول .
والثاني : فهم أمر من أمر ،أي فهمه منه بالفعل ، فهو أخص مما قبله ، والمراد بالأمر الأول:المدلول ، وبالثاني : الدال ،على عكس الأول.
والدلالة إما لفظية أو غير لفظية ،وكل منهما إما وضعية ،أو عقلية ، أو عادية.
فتكون الأقسام ستة وهي :
أ- الدلالة اللفظية الوضعية : مثل دلالة (الأسد) على الحيوان المفترس .
ب- الدلالة اللفظية العقلية : مثل دلالة (اللفظ)على وجود لافظه ، أو حياته.
جـ- الدلالة اللفظية العادية : مثل دلالة لفظ (أخ) بفتح الهمزة على الوجع مطلقاً ، ولفظ((أح)) بالهمزة والحاء المهملة على وجع الصدر.
د- الدلالة غير اللفظية الوضعية : مثل دلالة الإشارة بالرأس إلى الأسفل على معنى (نعم) ، والى أعلى على معنى (لا).
هـ- الدلالة غير اللفظية العقلية : مثل تغير العالم على حدوثه
و- الدلالة غير اللفظية العادية : مثل دلالة الحمرة على الخجل والحياء ، والصفرة على الوجل والخوف.
والدلالة الوضعية اللفظية محل اهتمام الأصوليين في مباحث الدليل اللفظي وهي لاتخرج عن الأقسام الثلاثة :
أ- مطابقية : وهي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له كدلالة الإنسان (على الحيوان مطلقاً)
ب - تضمنية : وهي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له في ضمن المعنى كدلالة (الإنسان) على حيوان فقط ،أو على ناطق فقط
جـ - إلتزامية : وهي دلالة اللفظ على لازم معناه ،أو دلالته على خارج معناه كدلالة (الإنسان)على كونه ضاحكا " الاستدلال عند الأصوليين /١٩ .

(١) الكليات /٣٢٠/٢ ،ظ كذلك /التعريفات /٦١ ، أساس البلاغة /٢٩٥/١

(٢) الاستدلال عند الأصوليين /٢١ ،وانظر مصادره

(٣) ظ /الاستدلال في كتاب نهج البلاغة /٤-٦، الاستدلال عند الأصوليين/١٩-٣٥، ظ كذلك ما ألفه بعض الباحثين في الاستدلال منهم الأستاذ الدكتور محمود عبد الحليم منسي في كتابه (الإحصاء الاستدلالي في علم النفس)،والدكتور عبد المرضي حامد عزام في كتابه (أساسيات الاستدلال الإحصائي).

كان الاستدلال مفهوماً مشتركاً في المنظومة المعرفية القديمة في علوم المنطق والكلام وأصول الفقه والبلاغة ،فهو أيضاً مشترك في علومنا الحديثة بين اللسانيات والدلاليات والتداوليات ،وعلم النفس والذكاء الصناعي ،والإعلاميات والعرفان٠٠٠٠ الخ" [٨] وليس من وكد البحث الخوض في ذلك بقدر ما يريد أن يبيّن مفهوم هذا المصطلح وغاياته ومراميه وأهم البيئات التي أغنته بحثا وتنظيراً.

فالاستدلال في الاصطلاح بحدٍ يكاد يكون جامعاً مانعاً ولاسيما عند المناطقة هو "استنتاج قضية مجهولة من قضية أو عدة قضايا معلومة ، أو هو :التوصل إلى حكم تصديقي مجهول بواسطة حكم تصديقي معلوم ، أو بملاحظة حكمين فأكثر من الاحكام التصديقية المعلومة" [٩] أو هو " تقرير ثبوت الأثر لاثبات المؤثر "[١٠]

وأرى أن بيئة الأصوليين والمناطقة أوفر البيئات العلمية تناولاً للمصطلح وتطويراً لحدوده ، وتطبيقاً لممارساته ، ولاسيما عند أهل الأصول إذ يعتمد على آلياته في استنباط الحكم الشرعي من أصول النصوص الشرعية. من هنا تتجسد العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للاستدلال في أنهما دالان على معنى الهداية والإرشاد وتقرير الأثر وظهوره ، ولعلك لا تغادر هذه المعاني مطلقا عند الاستعمال القرآني لمادة (دلل) ، ومن لازم القول والبيان هنا إن الاستدلال عملية عقلية تجنح الى القياس والمفارقة بين القضايا مناص البحث الاستدلالي ، للوصول إلى إثبات دلالة بدليل بديهي واضح لا يكاد ينفصل عن قضية بل هو الجزء الواضح المبيّن لها .

<u>استعمال مشتقات (دلل) في القرآن الكريم:</u>

جاء استعمال القرآن الكريم لمشتقات اللفظ (دلل)في سبعة مواضع [١١]. على صيغ مختلفة تبعاً لتناسب دلالةالالفاظ مع سياقات الآيات فيها ،وهذه الألفاظ في دلالتها المركزية أو الهامشية تؤكد ذلك التلازم المعبر عن المعنى اللغوي والاصطلاحي لها فالإرشاد والهداية واثبات المعنى وتقريره يكاد لا يغيب عن الغاية في استعمال اللفظ ،والآيات هي:

١-**(دلّهم) في قوله تبارك وتعالى** چ □ □ □ □ ى ى ي ي □ چ سبأ: ١٤

٢-**(أدلّك)**في طه ، ٹ ٹ چ چ چ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ چ طه: ١٢٠ .

٣-**(أدلّكم) في ثلاث مواضع هي :قوله تعالى:** چ ۇ ۈ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۇ ې ې ې ې □ □ □ □ چ القصص: ١٢ ، **وقوله جل ذكره** چ ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ چ الصف: ١٠

ٹ ٹ چ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ چ طه: ٤٠

٤-**(نـدلكم)في قولـه تعـالى:** چ ې ې ى ى □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ سبأ: ٧

٥- **(دليلاً)في قولـه تعـالى**ٹ ٹ چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ چ الفرقان: ٤٥

ولا يغيب عن الفطن وضوح ارتباط المشاهد الحسية في استعمال لفظ (دلل)بكل صياغاته القرآنية فالأول الإرشاد والإعلام والهداية لصورة موت سليمان (ع)بعد قضائه ، والثاني أشارة إبليس (لعنه الله)لأدم بشجرة الخلد ، وهكذا بقية الصور الأخرى المرتبطة باللفظ (أدلكم ،ندلكم،دليلاً)فضلاً عن ذلك فقد استعملت الصيغة الفعلية للفظ ست مرات مقابل الاسمية

---

(٤) الاستدلال البلاغي / شكري المبخوت /١٧ .
(٩) ضوابط المعرفة واصول الاستدلال والمناظرة /١٤٩ ، ظ الاستدلال عند الاصوليين /٢٢ .
(١٠) ظ/الكليات /٢ /٣٢٢ .
(١) ظ/ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / مادة (دلل)

مرة واحدة في الآية الأخير ،و هذه الآيات خلت من الصيغة الدالة على طلب الدليل بلفظ (استدلال) أي اللفظ (دلل)المزيد بـ(الألف والسين والتاء) والموحية بالطلب إلا أن جميع الصيغ المستعملة في القرآن الكريم لم تخرج عن المعنى الذي قرره الكتاب المجيد لمعنى اللفظ وهو الهداية والإرشاد والانتقال إلى جانب من جوانب البنية المعنوية للفظ القرآني .

العلاقات الدلالية للمصطلح :

يعقد الكتاب المجيد نظماً دلالياً بين مصطلحاته في دائرة الاستعمال القرآني ،وينسج أواصر الترابط بينهما من خلال علاقة التداخل والتكامل مرةً ، أو التقارب والترادف أحياناً ، أومن خلال دلالة التضاد والتخالف مرة ثالثة ، ولقد رصد الباحث علاقات لمصطلح (الاستدلال)مع غيره من المصطلحات التي يتقارب معها دلاليا ومنها(البرهان ،السلطان ، البيان)فهذه الألفاظ بحسب الاستعمال القرآني ولاسيما في الوجوه والنظائر القرآنية ترتبط مع مصطلح (الاستدلال) إلى حدٍّ بعيد حتى غدت وجوه العلاقة فيما بينها أوضح من مواطن الافتراق .

فالبرهان يأتي بمعنى " الدليل والحجة،ٹ ڈ چ ڍ □ چ البقرة: ١١١ ، وقوله تعالى و چ و و ۋ ۋ ې ې ې ې □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ النساء: ١٧٤ ٹ ڈ چ ې ې ې □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ المؤمنون: ١١٧ ، فالبرهان أوكد الأدلة ،وهو الذي يتضمن الصدق ابداً لا محالة " (١٢)

ومصطلح (الحجة)في القرآن الكريم يكاد يتقارب في الدلالة إلى حدّ الترادف مع الدليل فالحجة " ما دلّ على صحة الدعوى،وقيل الحجة والدليل واحد " (١٣)وقرر ذلك التهانوني بقوله : "الحجة مرادف للدليل "(١٤) ، في حين ألمح بعضهم إلى مواطن الفرق بين الاصطلاحين فجعل "الدليل مادل على صوابك،والحجة عنك قول فخالفك " (١٥) أما مصطلح (البيان أو السلطان)فتتداخل دلالتهما مع الدليل أو الاستدلال (١٦) .

وقد توافرت الآيات الكريمة(١٧) في بيان ذلك .

ومن نافلة القول إن التقارب الدلالي أو الترادف ــ على رأي القائلين به ــ بين هذه الألفاظ لا يعني انعدام الفوارق بينها مطلقاً، فقد تجد مكامن الدلالة الخاصة باللفظ لا تمكّن من الاعتقاد بتساوي اللفظين بالمعنى ، وبهذا قد يجوز الاعتقاد ــ وفي هذا يقيني ــ بأن الترادف في القران الكريم يستحيل مع دقة اختيار الألفاظ وتناسبها في الاستعمال القرآني ، وترابطها في سياقاته المعجزة ، من هنا فرّق أهل الدلالة بينها مرة وحاولوا إيجاد علاقة التقارب أو التداخل المعنوي الدلالي فيما بينها مرة ثانية(١٨) .

وحسبي أنني أذهب إلى إمكانية عدم حصول إجماع تام بين الباحثين في تحديد دلالات كل المصطلحات التي يتداولونها ،لان الحدود اللغوية تنتمي إلى أساليب فكرية متعددة ،وتنمو وتزدهر بحسب ملابسات ومفارقات سياقيه مختلفة ،فتتولد منها بنية معرفية دلالية خاصة فضلاً عن المعنى العام الذي يشكل مظهراً تتقارب فيه مع غيرها من الألفاظ ، ولا يمكن معه الاعتماد في تحديد جانب من الدلالة من دون النظر إلى الآخر(١٩).

ومما تجدر الإشارة إليه إن النظر في معان الألفاظ المتقاربة والمتداخلة مع (الدليل أو الاستدلال) يمكننا من لحاظ سمو وعلو الاستدلال القرآني فضلاً عن شموله على أعلى مراتب الوضوح ، وأكمل درجات الخطاب للمستدل عليه ، أو المخصوص بالاستدلال فكون الدليل

---

(١) بصائر ذوي التميز /٢/ ٤٣١

(٢) التعريفات /٥٠

(٣)كشاف اصطلاحات الفنون /١/ ٦٢٢،ظ المصباح المنير /مادة (حجج) يقول:(الحجة الدليل والبرهان).

(٤)البحر المحيط في أصول الفقه /١/ ٥، ظ/ الاستدلال البلاغي /١٨

(٥) ظ/أرشاد القرآن والسنة الى طريق المناظرة /٣٥

١٧) ظ/ المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم /الألفاظ الآتية (الحجة ،البرهان ،السلطان ،البيان).

١٨) ظ على سبيل المثال :الفروق اللغوية /ابو هلال العسكري / ٦٣ــ ٦٨ ،الفروق / ابن القيم الجوزية /١٠٩ ، بهجة الخاطر ونزهة الناظر /١٩٤،١٦٨ .

١٩) ظ /الاستدلال مستويات في القوة والوثاقة : /١١ .

(حجة أو برهان أو سلطان أو بيان)يعني هو المقصد المستقيم ، وهو الدليل الذي يشعرك بقوته وقدرته وعلو شأنه ، وهو الذي يدلك على الوضوح والظهور والتجلي المؤثر[٢٠] ، فهذه المعاني والدلالات إنما هي تشخيص لواقع الدليل والاستدلال القرآني الذي جاء في أسمى درجات الخطاب ،وأظهر معالم البداهة والعقلنة في الحوار والحجاج ؛ لذا ذهب ثلة من الباحثين الى استعمال (عقل أو تعقل) بمعنى (استدل أو دلل)أي طلب الدليل والقرينة ، والعلة فكلا اللفظين (التعقل) و (الاستدلال)يتداخلان في الفعاليّتين اللتين يعبران عنهما ومع ذلك فلا مناص من القول إلا بوجود الحدود المميزة لهما[٢١].اخلص من جميع ما تقدم إلى أن (الاستدلال) له من الخصوصية في الحراك الذهني العقلي ما يؤدي به إلى نتيجة تتعاضد مع دلالته اللغوية والاصطلاحية .

ويؤديان بتناسب عجيب "معنيين معنىً يعود به إلى النظر ، ومعنى يعود به إلى المناظرة ، ففي حالة النظر يعني الاستدلال (انتزاع الدلالة)،وفي حالة المناظرة يعني (المطالبة بالدلالة) والعمدة في الاستدلال لمعنييه هو الدلالة "[٢٢]

ولو راجعنا مفهوم النظر العقلي في القرآن الكريم وإجرائيات المناظرة فيه من جهة ، والاستدلال من جهة ثانية لوجدت ذلك التماثل في ضبط حركية التفاعل الدلالي للمصطلاحات القرآنية ، ولأنبأنا عن واقع حال بنية استدلالية معجزة تظهر من سمات سياقاته ومعالم آياته الكريمة .

القسم الأول

مظاهر

المباني الاستدلالية

---

[٢٠]) ظ /مادة هذه الألفاظ (الحجة ،البرهان ،السلطان ،البيان)في المصادر الآتية : التعريفات /٣١/٥٠/٦١،بصائر ذوي التميز /٤٣١/٢ ،بهجة الخاطر ونزهة الناظر /١٦٨

[٢١]) ظ/الاستدلال مستويات في القوة والوثاقه / ١١ ــ ١٢

[٢٢]) الاستدلال في علم الكلام /١٥٥

في

القرآن الكريم

ينهج الاسلوب القرآني طريقاً منظماً في بناء الفكر الاستدلالي ويجعل من قوام الفطرة الخالصة وحواسها النقية الصافية من جهة ، والمدارك العقلية والبداهة الذهنية من جهة ثانية قاعدة تؤسس لمنظومة استدلالية معرفية شاملة متكاملة تسعى إلى صناعة الإنسان المفكر العقائدي الذي يلتزم سلوك القرآن فكراً وعملاً ، وواقعاً وتطبيقاً ، قال تعالى : چ ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صخ صم چ النحل: ٧٨

وبعبارة أخرى يؤصل لنا كتاب الله المجيد مسلكاً استدلالياً يقوم على أبعاد نظرية وعملية ، فضلاً عن اعتماه على حركية فطرة الإنسان وفاعليتها ودرجة نقائها في إدراك الاستدلال ووعيه عملياً ، وانتقاله من مراحله النظرية إلى مرحلة العملية وواقعه التطبيقي ، فمن جانب يحث القرآن الكريم على إعمال الفكر والتعقل والاستدلال بآيات مختلفة وفي مواقف شتى وموضوعات متعددة وحسبك النظر في الآيات الدالة على العقل أو التدبر أو النظر والتفكر[٢٣] ، ومنها قوله تبارك وتعالى : چ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ گ گ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صخ صم چ آل عمران: ٦٥ ، وقوله تعالى : چ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ گ گ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صخ صم چ الروم: ١٩ - ٢٥

فقدت شفعت الآيات الكريمة الحث على التعقل ومقتضياته من التدبر والتفكر والنظر بالاستدلال المستند إلى فطرة الإنسان من جهة وبداهة العقل من جهة ثانية .

وفي جميع الآيات نجد الاستدلال واضحاً جليا ، ففي خطابه تعالى لأهل الكتاب احتجاج على تكذيب ادعائهم من دون علم ، واستدلاله في سورة الروم على القدرة على الخلق والإعادة وتبدأ الآيات في إجراء البراهين والأدلة الواضحة التي تتصل من جهة بالحس والإدراك العياني الواقعي التي يقرر فيها القرآن القدرة على الإحياء ثمّ البعث والنشور بقوله : چ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ الروم: ١٩ ، ثم تستعرض الآيات الكريمة البراهين الحسية والعقلية على البعث والحياة بعد الموت وتؤكد المعنى نفسه مرة أخرى زيادة في التقدير في قوله تعالى : چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ چ الروم: ٢٥

---

[٢٣] ظ / المعجم المفهرس للألفاظ القرآن الكريم (مادة : عقل ، دبر ، فكر ، نظر).

ويسلك بنا القرآن الكريم نهجاً تربوياً قيماً في الحث على الاستدلال وإدراك كيفية إقامة الدليل والمطالبة به والبرهان عليه ، وعدم الركون إلى العقيدة من دون الاستدلال عليها بالدليل القاطع اليقيني [٢٤] .ولهذا تكررت الدعوة القرآنية لاعتماد الدليل أكثر من مرة [٢٥] .

<u>وكان أول أركان المنظومة الاستدلالية وحلقاتها في كتاب الله تعالى الحث على النهج الاستدلالي والإتيان بالحجة والبرهان</u> ، وفي مقابل جادة الحث على الاستدلال يعرض لنا جانبا آخر من هذه المنظومة وهو المسلك العملي والممارسة الواقعية للاستدلال في صورتين أو مشهدين أستطيع أن أصف احدهما بالاستدلال الباطل اللامنطقي ؛ لافتقاده أسس التفكير الصحيح وقيامه على المغالطة وجريانه على التقليد الأعمى ،وإلغائه العقل واعتماده على العناد ، وإصراره على العزة بالآثم والخطيئة .

وهو ما تؤكده وتقرره الآيات المجيدة في أكثر من موطن[٢٦] ، ففي معرض دعوات القرآن الكفار للإيمان والتوحيد والتسليم لله تبارك شأنه ترسيخ للقدرة على الإحياء والإماتة من خلال الاستدلال بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة التي تحاكي الفطرة والوجدان ، وتلازم العقل والبرهان ،وتتسم بالوضوح والبيان فلا شائبة تبعد عن اليقين ، ولا ظن يعترض الدليل إلا أن الكافرين إمام ذلك تراهم يستدلون بالمقاطعة والعناد والعمى والظن الذي لا يغنى من الحق شيئاً ، قال تعالى حكاية عنهم: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ الجاثية: ٢٤ - ٢٦

ويتكرر الموقف ثانياً وتأتي مغالطة الكافرين [٢٧] ، واستدلالهم في نقض دعوات الإيمان بالله تبارك وتعالى ، وتوحيده والإقرار بقدرته على عمى التقليد لآبائهم والتماسهم الهداية من الضالين والاقتداء بآثار المكذبين قال تعالى: ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯨ ﯩ ﯪ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ الزخرف: ٢١ - ٢٥

ولا يغيب عن ملاحظة الفطن إشارة السياق القرآني إلى تكرار قول الكافرين وإصرارهم على (الاهتداء والاقتداء) بنهج آبائهم على الرغم من بطلان استدلالهم وضعف حجتهم ؛ لذا جاء الجواب القرآني بإيضاح زيف ادعائهم وكشف واقع كفرهم ومآل عاقبتهم .

ويصور القرآن العظيم هذه السمات الباطلة المنهي عنها في الاستدلال على لسان الكافرين طلباً في التنبيه على مخالفتها للعقل والبرهان ومعارضتها للفطرة والوجدان لأنها تتبع طريق العمى دون هداية وتسير من دون علم قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ البقرة: ١٧٠ ،ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ المائدة: ١٠٤ - ١٠٥

ولعل كثرة موارد إنكار القرآن الكريم تقرر بقاء الكفار في ضلالهم وعنادهم ، والركون للتقليد الأعمى ،ويدعو للتحذير منها ومن أمثالها ، وتشخيصها سلوكاً منبوذاً بين العقلاء أو ممَّنْ يدَّعون التفكر أو النظر العقلي .

وقد مضى ذلك على لسان خليل الرحمان إبراهيم (عليه السلام) في محاججته لقومه ومغالطتهم في الاستدلال وعنادهم السقيم مقابل استلاله بالبرهان العقلي المشخص بالواقع الحسي الملموس العيني الذي لا يختلف فيه اثنان في قوله تعالى : ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ

---

[٢٤] ظ / بحوث في مبادىء الاستدلال / ١٨٣.

[٢٥] ظ / { الآيات الآتية على سبيل المثال : البقرة/ ١١١ ، الأنبياء / ٢٤ ، القصص /٧٥} .

[٢٦] ظ / على سبيل المثال الآيات الكريمة : الإنعام/ ١٤٨ ، التوبة/ ٢٣ ، هود /١٠٩ ، الأعراف/ ٢٨ ، ٧٠ ، يونس /٧٨ ، الشعراء/ ٢٦ ، ٧٤ ، المؤمنون/ ٦٨ ، الفرقان / ١٨ ، يوسف/ ٤٠ ، الصافات / ١٢٦ ، الدخان/ ٨

[٢٧] ظ / بحوث في مبادئ الاستدلال /١٨٦.

ہ ھ ھ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح طم ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم گ گ گ گ ل ل ڻ ڻ ڻ ڻ ں ں ڱ ڱ ڱ ڱ ڳ ڳ ڳ ڳ ڴ ڴ ڴ ڴ ڵ ڵ ڵ ڵ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ۓ ﴿ الأنبياء: ٥١ ــ ٦٧ ﴾

ومن عظم خطر هذا المنهج الخاطئ والزائف في الاستدلال الباطل انه يؤدي بصاحبه إلى الضلال ، والابتعاد عن طاعة الله بل والخروج من مقام العبودية إلى مقام التمرد والعصيان ومآله هذا الهلاك وعاقبته النار ، وهو ما صوّره لنا كتاب الله تبارك شأنه في استدلال إبليس عندما أمره تعالى بالسجود لآدم ، وهو في حقيقة الأمر سجود لله تبارك اسمه بدلالة طاعة الأوامر الإلهية ، وعدم مخالفة ما يصدر منه جل شأنه ، ولا سيما أن المأمور إبليس (لعنه الله) كان مع الملائكة ومن العباد وفي ذلك إشارة إلى الإنذار والتحذير من التكبر والتفاخر والعصيان والعناد ؛ لذا جاءت المشاهد القرآنية الكريمة وهي تصور بدقة ووضوح بطلان استدلال إبليس وحجته بعدم السجود إلى آدم(ع) قال تعالى: ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ﴾ الأعراف: ١١ - ١٣ فالتكبر كان صريحا منه وقد كان من الظهور والتجلي بأن أشار اليه تعالى في محكم كتابه ، فضلاً عن ذلك فان الاستدلال بأفضلية عنصر على آخر ، والقياس عليه في مدار التفضيل زائف وغير حقيقي فزعمه – ابليس – " كونه خيراً من آدم كذبة باطلة ،واستدلاله عليها بكونه مخلوقاً من نار ، و(آدم) من طين استدلال باطل ،ليست النار خيراً من الطين والتراب ،بل التراب خير وأفضل عنصراً من وجوه " [٢٨] كثيرة وإنما الهدف من ذلك يقع على قضية العصيان والمكابرة في الطاعة والتسليم للأمر المولوي وهو ما تؤكده آيات أخر منها قوله جل وعلا :

﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ﴾ الحجر: ٢٨ - ٣٤

وتأكيد مشهد استدلال إبليس اكثر من مرة في القرآن الكريم ، مع الإشارة بل التصريح بذمه ، وزيفه يولد إيحاءً بأهمية الاعتماد في الاستدلال على الحق والصواب دون الباطل في التكبر والتعالي والحسد ؛ فأنها موجبة للطرد من الرحمة الإلهية وهي العاقبة والمآل الذي خلص إليه إبليس من استدلاله الزائف[٢٩] ، وقد نصت عليه وكررت مواقفه (أربع مرات) ، وفي كل آية ترى الندم والطرد والتوبيخ ونقض حجته وقياسه ، وأعجب ما في الأمر أن القرآن الكريم ينقل جرأة إبليس (لعنه الله) واصراره على العناد والتكبر في خطاب الله تبارك وتعالى ، وميله للجدل المفروغ منه وتوعده مَنْ كرّمه الله تعالى بوقاحة تنبىء عن كِبره بحضرة الذات المقدسة ومقابلة الخطاب بالخطاب ، ولعل منشأ ذلك أو بعضه من سوء استدلاله وعظم بطلانه الذي أدى به إلى الإصرار عليه واستحباب العزة بالإثم والمعصية ، قال تعالى : ﴿ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ۓ ﴾ الإسراء: ٦١ - ٦٣

هذه هي الصورة الأولى من الممارسة العملية للاستدلال التي ينقلها لنا القرآن الكريم محذراً منها ؛ لقيامها على الباطل ومخالفتها المنطق ، وجريانها على أسس العناد الأعمى والعصيان الذي لا تحمد عاقبته؛ لذا جاء الحديث عنها في القرآن لبيان ذمها وعدم صلاحها ومقارنتها بالصورة الثانية من الواقع العملي للاستدلال القرآني والذي يمكن إن أصفه بالاستدلال البرهاني- المنطقي المعتمد على الصدق والحق ، والمؤسس لاتجاه فكري يقود إلى إحكام الصحة والصواب ، والحجة والدليل في شتى شؤون الإنسان وشجونه في حركته ليستحيل هذا عنده منهجا متبعا وطريقاً يسلك ، ولا سيما وهو منهج العقلانية والحكمة ، ومَنْ هم أهلٌ لحمل الكلمة الإلهية للناس، إنه منهج الأنبياء الذين قص علينا كتاب الله تعالى خطابهم الاستدلالي مع أقوامهم

---

(١)إرشاد القران والسنة /١٠٥ ،وقد ذكر ابن القيم خمسة عشر وجهاً في أفضلية التراب على النار .
[٢٩] ظ / كذلك {سور ص /٧١-٨٣}.

فضلاً عن بيان أهدافه ومقوماته وتناسقه مع سياقات النص المجيد وخطابه المعجز ؛ وعليه فالمتأمل اللبيب لا ينفك عن تجلي اللطائف والأسرار الإلهية من الاستدلال القرآني .

وكلما أنعمنا النظر أكثر فأكثر لرأيت العجز ظاهراً عن وصف ما نشعر به قبال فرائد الدلالات ونفائس المعاني ، ولعلك تطلب مثال ذلك شاهداً على ما وصفته واليك قول الله تبارك شأنه على لسان خليله (صلوات الله عليه وعلى نبينا وآله أفضل الصلاة والسلام) : ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ البقرة: ٢٥٨ ، فقد جمعت هذه الآية المباركة صورتي الاستدلال المتقدمة (استدلال الحق ، واستدلال الباطل) ، فقبال حجة إبراهيم (عليه السلام) التوحيدية ونسبة القدرة على الإحياء والإماتة لله تعالى ، تجد سفاهة ادعاء الكافر وعناده ، وإصراره على الطغيان من خلال زعمه بامتلاك هذه القدرة التي لا يستطيع بها دفع الضر عن نفسه ، أو جلب النفع لها ولكن ركونه إلى العزة بالإثم والغطرسة جعله يدعي ما لا يمت للحقيقة بصلة بل هو الباطل بعينه ، إذ أراد من معنى الإحياء والإماتة وجها من وجوه الظلم والغطرسة ، ولن يجرؤ أن يدعي ما ليس له لأنه فاقد الأهلية على نفسه ،فكيف بادعاء هذه القدرة عموماً على الآخرين ؟؟؟!!!

ولم يقف خليل الرحمن(عليه السلام) عند استدلال نمرود هذا بالتعقيب أو التعليق لسببين فيما أرى والله العالم :

الأول : بطلان هذا الاستدلال من أساسه ؛ لأنه يفقد اقل درجات التعقل و المنطق ؛ ولعله من ظهور انحطاطه ، ووضوح سفاهة استدلاله تجاهله إبراهيم(عليه السلام) ، وانطلق إلى استدلال آخر لا مندوحة في الإجابة عنه . ولا سبيل له في الرد عليه .

والثاني : اتخذ إبراهيم(عليه السلام) طريق الانتقال الجدلي مع خصمه والذي يقوم على انتقال المستدِل إلى استدلال آخر غير الذي كان آخذاً فيه[٣٠] ، وتخطي استدلال خصمه وتجاوزه ، وتجاهله ولو ظاهراً، ومن ثم إفحامه باستدلال آخر لا يحير له جواباً ؛ةلأنه حقيقة حيـَّة ملموسة متفق على نسبتها وتصورها العياني والعقلاني عند عامة الناس والخلق .

من هنا اسقط ما في يدي نمرود وكنى عن حاله القرآن الكريم بقوله (فَبُهِتَ الذي كفر) فهذا الاستدلال اخرس منطقه ، وأمات حجته فلا جواب سوى لسان الحال من إحقاق الحق بوجه الكفر والظلم ، والعجيب حقاً والمعجز صدقاً إن هذه الآية التي جمعت بين مشهدين من الاستدلال جاءت في سياق فريد ونظم نادر فكأنما هي مصداق لما سبقها من جهة ، وقاعدة تؤسس لقضية استدلالية لما بعدها ، كيف ذلك وأنـّى ؟؟؟

ولو راجعنا الآية السابقة لوجدناها تقرر معنىً من تولي الله تعالى الذين امنوا بالهداية والإخراج من الظلمات إلى النور مقابل الذين كفروا (الشيطان) يخرجهم من النور إلى الظلمات قال تعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ البقرة: ٢٥٧

ثم تأتي الآية التي استدل بها إبراهيم(عليه السلام) على نمرود مصداقاً حياً لهذه المقابلة بين مـَنْ تولاهم الله تعالى بهدايته أمام مـَنْ كانوا وليـّهم الشيطان ولا يغيب عنك امتداح إبراهيم (عليه السلام) بقوله تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ البقرة: ٢٥٨، أكثر من مرة ، فمرةً يذكر باسمه ،وأخرى بنسبة كلمة (رب) إليه مرتين ،في (ربـَّه) وأخرى (ربي) وهذه إشارة واضحة في الثناء عليه ، وعلى سلوكه ومنهجه في الاستدلال الحق والله العالم .

---

[٣٠] ظ/الإتقان في علوم القرآن/ ١١ /١٢٦٧.

وكما جعل السياق القرآني مقاما طيباً لخليل الله تعالى بما استحقه ، وصفَ (نمرود) بالكفر والاستبعاد من الرحمة ، فهو الجاحد بأنعم الله تعالى وعطاياه من خلال دلالة الكناية عنه وعن اسمه بلفظ (الذي) مع لحاظ السياق الذي قرر ونص نعمه جلّ شأنه بقوله (أن أتاه الله الملك) فالملك كان منه تعالى ، ولم يقابل هذا الموصوف بالكفر نعمة الملك إلا بالطغيان والتعنت ، وسلوكه الاستدلالي الذي ينقله الكتاب المجيد ينبئ عن ظلمه وكفره وخروجه من ولاية الله تعالى إلى ولاية الشيطان ، وعاقبة التولي ومآله في الاتجاهين ظاهرة بينة فكرياً وعملياً وهي ما يوضحه القرآن الكريم في آيات لاحقة في مواضع قرآنية في غير سورة البقرة ، وما يهمني ها هنا أن الإشارة الاستدلالية كانت موجهة نحو منهجين **أحدها :** يقوم على الصدق والحق ، **والآخر** : يقوم على التضليل والزيف ، وحسبك في هذه المقارنة من توجيه قرآني نحو السلوك والتربية الاستدلالية نحو الحق والصدق والتحذير من دون ما سواهما .

وفي هذا المنهج الاستدلالي توكيد لنقض العقائد الباطلة، وبناء للعقيدة الحقة ، وهو عين سلوك ابراهيم (ع) في حجاج(نمرود) حيث نقض دعواه ،وألزمه الحجة ، وكذّبه في حجته حتى ظهر عجزه وخارت دلائله ، ولم يجر على لسانه إلا الخرس والعي (فَبُهِتَ الذي كفر).

ولم تنتهِ صورة مشهدَي الاستدلال في هذه الآية (البقرة /٢٥٨) عند هذا الحَد بل جاءت تؤسس استمرار الموضوع المهم الذي غادره إبراهيم (ع) ولم يقف عنده وهو زعم (نمرود) وادعاؤه ـ كاذبا ـ القدرة على الإحياء والإماتة ، وكان ذلك التغافل عن هذا المعنى من باب ما سميناه (التسليم الجدلي) ، إلا أن السياقات القرآنية وإن نقلت قول (نمرود) لكنها وقفت عنده ونقضته ملياً ، وبيَّنت مفاصله وجلتّها استدلالياً في مواطن كثيرة في القرآن الكريم[٣١] ، ولا سيما في هذا الموطن حيث فخامة الموضوع ، وظهور مدعٍ مضلل يزعم ما لا يستطيع فجاءت الآية اللاحقة بعد آية الحجاج مع إبراهيم لتحدثنا عن قدرته تبارك وتعالى على الإماتة والإحياء ، قال عزّ من قائل : چ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ □ □ □ □ □ □ □ چ البقرة: ٢٥٩

فهذا السياق حمل تناسباً استدلالياً للموضوع ذاته لأنه من الأهمية بمكان بحيث لا يمكن إغفاله بمجرد إبطاله في زعم المضللين أو ادعاء الكافرين ، فمسألة الإحياء والإماتة من ابلغ الحجج والبراهين على القدرة الإلهية وهي ما لا يحجمها تزييف وجهته(نمرود أو غيره) ؛ لأن مقامها ومنزلتها لا يقبل الشّركة مطلقاً چ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا چ لذا جاءت قصة (عزير) لتؤكد حقيقة الموت والحياة والقدرة عليها منه تعالى ذكره، ولا يمكن لهذه الحقيقة أن توجه الآية بمظهر أهل الطغيان والغطرسة ، ومن جميل التعبير وصدق الإيمان تجد في ختام الآية المباركة ذلك الإقرار والتسليم لله تعالى بعد ظهور الآية من بعثه بعد موته وعلى ما كان معه من طعامه وحماره ، فقال مطمئناً موقناً ، (اعلم أن الله على كل شيء قدير) بعد أن وعى الاستدلال عليها وأدركه ختم ذلك بالاعتراف والإقرار.

ولم يترك السياق الاستدلالي الأمر حول قضية الإحياء والموت عند هذا الحد وإنما جاءت الآية اللاحقة لتؤكد المعنى ذاته ، والموضوع نفسه ولكن بإطار أخر أبلغ حجة وأوضح بياناً في إعمال الإيمان ، وترسيخ الاعتقاد ويكون إبراهيم (ع) طرفاً في الخطاب وكلامه نهجاً للإيمان والاعتقاد قال تعالى : چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ چ البقرة: ٢٦٠ ، فموضوع الآية والسؤال لا يتعلق بخليل الله تعالى وإيمانه ؛ فإذا كنا نعتقد أن القرآن الكريم كما في روايات أهل بيت النبوة (صلوات الله عليهم) نزل على قاعدة (إياك أعني واسمعي يا جاره) نفهم ونعي سؤال ابراهيم (ع) ودلالة سياق الآية من استعمال ألفاظ(ربّ) والإقرار بالإيمان

---

[٣١] ظ : على سبيل المثال / البرهان /٢ ، ١٨-١٩ ، الإتقان في علوم القرآن /١١/ ١٢٦١.

بـ(بلى) فضلاً عن أن السؤال أراد معنى (كيف) والغرض من ذلك كله ترسيخ العقيدة فيمن يؤمن باللسان دون الجنان ، أو بالجنان دون الاطمئنان واليقين فجاء على لسانه وأراد به المخاطبين ممن حالهم على هذا النحو (ولكن ليطمئن قلبه) ، أو التدرج في مقام اليقين لبلوغ أرقى درجاته ، من هنا جاء الجواب الإلهي الاستدلالي بحجة لا تقبل أدنى درجات الشك ، فما أعجبه من برهان جمع بين ثلاثة أشياء (أربعة من الطير) تنوع و(صرهن) أي قطعهن واخلطهن ، ثم (اجعل ثلاثة على جبل منهن جزءاً) توزيعهن على رؤوس الجبال ؟؟؟ !!! ، وتأتي المعجزة بالإحياء ، وسعيهن إليك عند دعوتك من دون أن تختلط أجزاؤها أو يشتبه بعضها بعض ، وفي هذا الاستدلال إشارات ولطائف عظيمة يدركها مَنْ حسن ذوقه ،وعَظُمَت الآيةُ في نفسه ،ومنها أن صورة الإحياء هذه التي جرت بعد تعدد الأنواع ، واختلاط الأجزاء ، واختلاف الأماكن آية مصغرة لمشهد الإحياء العامة يوم القيامة من تعدد الأجناس ، وتناثر الأجزاء واختلاطها وتشابها واختلاف زمانها ومكانها فلا يبقى منها شيءٌ يُرى أو يُحس ثم ما لها إلا القيام والبعث والنشور من جديد لا يختلط بعضها ببعض ، ولا يشتبه شيء منها بغيره ، ولا بعمله ،و كل ذلك وغيره إنما هو مصداق للقدرة الإلهية العظيمة في الإحياء والإماتة.

ولا شك في أن المتأمل في الآيات الماضية (٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠) وقبلها الآية(٢٥٧) من سورة البقرة جاءت متساوية متناسبة استدلالياً ووكدت معنى القدرة الإلهية في الموت والحياة بحقيقتيها الناصعة التي لا يحجب إشراقها مزيف أو يغادرها مجادل ، من هنا ترى تأكيد القرآن الكريم صورة الاستدلال الحق الصادق الذي يجعل البرهان طريقا في الاعتقاد والإيمان .

أخلص إلى أن **الحلقة الثانية من المنظومة الاستدلالية في القرآن الكريم تتمثل بالممارسة التطبيقية للاستدلال** من خلال صورتين أو مشهدين حذرت من احدهما ، وامتدحت الآخر فكراً وسلوكاً ؛ لأنه يوصل إلى الحقيقة ويؤدي بالإنسان إلى طلب الكمال وهي فطرته التي فُطر عليها .

إما **الحلقة الثالثة من هذه المنظومة القرآنية في الاستدلال والحلقة الأخيرة منه فهو شمولية تجسيد الاستدلال بأقسامه وأنواعه وأساليبه وموضوعاته فضلاً عن بنيته الفكرية** في آيات الذكر الحكيم والتي تضمنت " جميع أنواع البراهين والأدلة ، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به لكن أورده تعالى على عادة العرب دون دقائق طرق إحكام المتكلمين " [٣٢] .

ويمكن للباحث أن يستخلص أبعاد هذا الجانب من المنظومة في دلالات وإشارات يجوز أن نسميه البنية الاستدلالية الفكرية المؤصلة لقواعده وأسسه .

واعني بالبنية الاستدلالية الفكرية التي اقام القرآن الكريم على أساسها منظومته ، واصَّل من خلالها لقواعده وأساليبه وطرقه في توليد وصناعة الاستدلال بما ينسجم مع فطرة الإنسان ووجدانه من جهة ، والبراهين العقلية البديهية من جهة ثانية فيؤدي بالنتيجة إلى قناعة عقلية برهانية، ومتعة نفسية وجدانية في آن واحد [٣٣] .

فقد وجه الكتاب المجيد الأنظار إلى أن فاعلية الاستدلال وحركيته في الإنسان تقوم على تكامل الفطرة الإنسانية وتناسبها مع البرهان العقلي ، ولعل الاعتماد على الفطرة يأتي بالدرجة الأساس سابقاً الأدلة العقلية ؛ لأنه جل ذكره أودع في " قلوب بني آدم المعارف الفطرية

---

[٣٢] البرهان في علوم القرآن : الزركشي /١٧/٢ ، الإتقان في علوم القرآن / السيوطي /١٢٦١/١١.

[٣٣] ظ/ الاستدلال في القرآن / محمد هادي معرفة /٩٥ مجلة رسالة القرآن / العدد ١٤١١/١هـ ، كذلك ظ / الاستدلال القرآني / منهجه ومميزاته /د . سامي عفيفي / ص٢.

الضرورية ما يفرقون بين الحق والباطل، وما يجعلها مستعدة لأدراك الحقائق ومعرفتها ولولا ما في القلوب من هذا الاستعداد والتمكّن ما أفاد النظر ولا الاستدلال ولا البرهان "[٣٤] .

فالبنية الفكرية للاستدلال لا يمكن تصورها من دون الفطرة والوجدان اعتماداً على العقل والبرهان فحسب ، وإنما تتكامل القضايا التي توجب فيها البرهان مع الفطرة لإيجاد اكبر مساحة من التأثير والفاعلية للاستدلال ، ومن هنا تختلف الاستدلالات من جهة القوة والوثاقة [٣٥]، وقد تكون بعض القضايا تحتاج إلى دليل ، وأخرى نعرف صدقها من دون الحاجة إلى الاستدلال [٣٦] ؛ أما لأنها من أوضح الواضحات ؛ أو لأنها تعرف من جهة الفطرة ولعل من يطلب الاستدلال على القضايا الفطرية التي هي بحكم البديهية لا بد أن يقع بالدور القبلي المنطقي[٣٧] .

وإذا اعتقدنا بأن الاستدلال عملية عقلية تهدف إلى الإثبات من جهة علاقتها بقضايا أخرى ؛ فإننا بالضرورة نعتقد أن للعقل وظيفة عملية فضلاً عن وظيفته النظرية ، واعني بالعملية مسألة قيادة عملنا ، مثلما هو توسيع معارفنا وتعميقها ، فإذا كان سلوكنا في أحيان غير متروٍ ، ولا يصل إلى النتيجة الصواب فقد يكون نتيجة استدلالنا[٣٨] .

وعلى أية حال يمكن أن نعّبر عن الاستدلال من جهة صنعته العقلية أو الذهنية بأنه " سلسلة متصلة من الحلقات ، تندمج في طياتها عمليات متعبة من الاستنباط والمقارنة ، وضرب المثال والبحث عن المثال المضاد ، قصد إبطال فرضية ما وتدعيم منافستها ، إذ النشاط العقلي منغرس في الانشغالات المتشعبة ، وليس من السهل إقامة حواجز فيما بينها ،وكل فكرة مشروطة بحيثيات ؛ ولهذا كانت كل فكرة متولدة عن فكرة سابقة وتتوجه إلى اقتراح تفسير جديد نسبياً ، حيث يقارن العقل وينتقد ، ويقيد ، ويستبعد بناء على معطيات ، ويتقبل بناءً على أخرى في سيرورة من الأخذ والرد لا تتوقف ، وفي كل عملياتنا يشتغل العقل من خلال إسقاط المعارف والأمثلة من مجال على مجال أخر بعيد أو قريب "[٣٩] ، وهذه الصورة الذهنية على الاستدلال لا تفترق عن الفطرة ، وانما تعكس تكاملها وترابطهما في محصلتهما الاستدلالية المطردة وهو ما فتىء القرآن الكريم يشير إليها ، ويؤكدها ويستثمرها في خطابه الإنساني الممنهج[٤٠] ، وإبداعه صورة واضحة مبنية على انه سلوك الهي تمثله الأنبياء والرسل ، وعليه قامت أصول الحوار والمناظرة والجدل مع أقوامهم ؛ فضلاً عن ذلك فإن الكثير من آيات الذكر العظيم التي عقبت على الاستدلال الوجداني العقلي البرهاني أو الفطري الوجداني بفواصل قرآنية توضح صلته بالتعقل والعلم والتفكر والتدبر[٤١] ، وجميعها في دائرة آليات الاستدلال ، وهي لب العملية الذهنية التي ينتزع من خلالها الدليل ، وقطب الرحى في الوصول إلى الحكم اليقيني الذي لا يدفعه شك ولا يقاربه ظن ، وعماده الحق والصدق ؛ لأنه معضَّد بالفطرة والوجدان ومصاغ بالعقل والجنان .وهو ما يؤدي بنا إلى تلمس عوامل توليد البنية الاستدلالية .

قوام البنية الاستدلالية :

---

[٣٤] منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة / عثمان بن علي بن حسن /٢٠٧/١.
[٣٥] ظ/ الاستدلال في القوة والوثاقة /٢٧.
[٣٦] ظ/ الاستدلال / روبير بلانشي / ترجمة ا.د. محمود اليعقوبي /٦١.
[٣٧] ظ/ منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد /٢٠٨.
[٣٨] ظ/ الاستدلال / روبير بلانشي /٢٦٩.
[٣٩] ظ/ الاستدلال مستويات في القوة والوثاقة /٢١. .
[٤٠] ظ/ الجدل والمناظرة في القرآن الكريم / عثمان بن علي بن حسن /٣٨٤.
[٤١] ظ/على سبيل المثال قول الله تبارك شأنه : النحل: ١٢ ، الروم: ٢٤ ، غافر: ٥٧ ، آل عمران: ٦٦ ، الرعد: ٣ ، النحل: ١٠ - ١١ ، المؤمنون: ٦٨ ، ص: ٢٩

من خلال ما مضى يمكنني الاعتقاد أن قوام البنية الاستدلالية القرآنية يرسخ تجانس المضامين النظرية والعملية للاستدلال فكراً ، ويوحّد غايتها في إيضاح المقاصد والأهداف الاستدلالية ، واحسب ان ذلك يُشيَّد من خلال ما يأتي :-

أولاً : تقرير القضايا العقلية البديهية التي لا يمكن الاجتماع على خلافها أو الاتفاق على نقضها ، وهو بذلك يؤصل تطبيع سلوك الإنسان المفكر ويمنطق آلياته الموصلة إلى الأحكام النهائية قال تعالى : ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ الأنبياء: ٢٢ ، فالآية على إيجازها تقرر حكماً لا يمكن أن ينكره مفكّر، أو متعقل فالفساد يقوم على اختلاف الإرادات المتعددة المتناقضة ، وما دام الأمر محكماً عظيماً في التدبير والخلق والإدارة ؛ فيستحيل وجود غير الله ــ تعالى شأنه ــ خالقاً ومدبراً ، ودلالة التمانع واضحة المعالم في الآية [٤٢] ، ولا يمكن مخالفة العقل والبداهة في استكناه معنىً أو دلالة تغادر موطن التوحيد لله تعالى وتنزيهه عن كل ما يعدُّ تلويحاً أو أشارة بالشرك أو شيء من معالمه قال : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ المؤمنون: ٩١ [٤٣] .

ثانياً : اعتماد القرآن الكريم الاستدلال منهجا في ترسيخ القضايا العقدية والمطالبة بالبرهان أو الدليل أو السلطان كما أسمته في الكثير من الآيات التي يُتطلّب فيها الوصول لحكم يُستنبط ، أوالدعوة إلى إثبات بعض المطالب التي يزعم مدعيها – باطلاً – أنها على جادة من الصحة والصواب ،ولاسيما ان العقل والمنطق فيها مخالف فهي تصدر عن العناد ، وتسلك التضليل وليس لها من دليل في إثباتها ، فتبنى من غير قواعد ، وترفع من دون أسس في العلم أو الاعتقاد ، قال تعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ النمل: ٦٤

ومن لطائف تلازم التقرير العقلي البرهاني للاستدلال مع نهج ومبدأ المطالبة بالدليل والبرهان أن آيات الذكر الحكيم تجمع فيما بينها في سياق واحد ، فمن جهة ترى القرآن الكريم يقرر المبدأ البديهي ، ومن أخرى يدعو لاعتماد الدليل والبرهان ويقدمه واضحاً بيـّناً لا شائبة حوله بفرادة أساليبه ، وندرة صياغاته ، قال تعالى : ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ الأنبياء: ٢٢ - ٢٥ ، فتنزيه الله تعالى عن الشرك والمطالبة بالبرهان على من يعتقدون إلوهيته ،وبيان أن توحيد الله تعالى هي أساس الرسالات السابقة ولم يكن الإسلام بدعاً منها وتعبير (من قبلك من رسولٍ) دال على جميع جنس الرسل في الاقرار له تعالى بالإلوهية والعبادة ولا سبيل بغير ذلك من الاعتقاد إلا الباطل .

ثالثاً : تأكيد الكتاب المجيد قضية إنزاله وصلته بالسماء أو بما له من خصوصية في نسبته الإلهية، وأدائه المحمدي أو تحديه الإعجازي كلّ ذلك لم يكن بمعزل عن الاستدلال والبرهان بل جاء كذلك في سياق استدلالي يجمع بين الخطاب العام(للناس) على اختلافهم ، والبرهنة بالآيات الحسية المُشاهَدة والعقلية المستنبطة تقرير ربوبيته على خلقه، فهو ربكم الذي جعلتم من دونه أنداداً بدلاً عن عبادتكم له ، وأن ارتيابكم من كتابه ، وعبده المؤتمن على القرآن العظيم إنما هو في سياق الاستدلال والاحتجاج ، فتحداهم على مقابلة البرهان بالبرهان ، وأن يأتوا بمثله ، ولكن هيهات هيهات فقد ظهر العجز بدلالة التسليم بمقام الاستدلالات على ذلك ، قال تعالى : ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ

(٤٢) ظ / الاستدلال البلاغي /١٨٨.
(٤٣) ظ/ كذلك على سبيل المثال الآيات الآتية : الزخرف/ ٨١ ، غافر /٥٦-٥٧.

ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﹀ ﹁ ﹂ ﹃ ﹄ ﹅ ﹆ ﹇ ﹈ ﹉ ﹊ ﹋ ﹌ ﹍ ﹎ ﹏ ﹐ ﹑ ﹒ ﹓ ﹔ ﹕ ﹖ ﹗ ﹘ ﹙ ﹚ ﹛ ﹜ ﹝ ﹞ ﹟ ﹠ ﹡ ﹢ ﹣ ﹤ ﹥ ﹦ ﹧ ﹨ ﹩ ﹪ ﹫ ﹬ ﹭ ﹮ ﹯ ﹰ ﹱ ﹲ ﹳ ﹴ ﹵ ﹶ ﹷ ﹸ ﹹ ﹺ ﹻ ﹼ ﹽ ﹾ ﹿ ﺀ ﺁ ﺂ ﺃ ﺄ ﺅ ﺆ ﺇ ﺈ ﺉ ﺊ ﺋ ﺌ ﺍ ﺎ ﺏ ﺐ ﺑ ﺒ ﺓ ﺔ ﺕ ﺖ ﺗ ﺘ ﺙ ﺚ ﺛ ﺜ ﺝ ﺞ ﺟ ﺠ ﺡ ﺢ ﺣ ﺤ ﺥ ﺦ ﺧ ﺨ ﺩ ﺪ ﺫ ﺬ ﺭ ﺮ ﺯ ﺰ ﺱ ﺲ ﺳ ﺴ ﺵ ﺶ ﺷ ﺸ ﺹ ﺺ ﺻ ﺼ ﺽ ﺾ ﺿ ﻀ ﻁ ﻂ ﻃ ﻄ ﻅ ﻆ ﻇ ﻈ ﻉ ﻊ ﻋ ﻌ ﻍ ﻎ ﻏ ﻐ ﻑ ﻒ ﻓ ﻔ ﻕ ﻖ ﻗ ﻘ ﻙ ﻚ ﻛ ﻜ ﻝ ﻞ ﻟ ﻠ ﻡ ﻢ ﻣ ﻤ ﻥ ﻦ ﻧ ﻨ ﻩ ﻪ ﻫ ﻬ ﻭ ﻮ ﻯ ﻰ ﻱ ﻲ ﻳ ﻴ ﻵ ﻶ ﻷ ﻸ ﻹ ﻺ ﻻ ﻼ ﻽ ﻾ ﻀ ﻁ ﻂ ﻃ ﻄ ﻅ ﻆ ﻇ ﻈ ﻉ ﻊ ﻋ ﻌ ﻍ ﻎ ﻏ ﻐ ﻑ ﻒ ﻓ ﻔ ﻕ ﻖ ﻗ ﻘ ﻙ ﻚ ﻛ ﻜ ﻝ ﻞ ﻟ ﻠ ﻡ ﻢ ﻣ ﻤ ﻥ ﻦ ﻧ ﻨ ﻩ ﻪ ﻫ ﻬ ﻭ ﻮ ﻯ ﻰ ﻱ ﻲ ﻳ ﻴ ﻵ ﻶ ﻷ ﻸ ﻹ ﻺ ﻻ ﻼ ﻽ ﻾ ﻀ ﻁ ﻂ ﻃ ﻄ ﻅ ﻆ ﻇ ﻈ ﻉ ﻊ ﻋ ﻌ ﻍ ﻎ ﻏ ﻐ ﻑ ﻒ ﻓ ﻔ ﻕ ﻖ ﻗ ﻘ ﻙ ﻚ ﻛ ﻜ ﻝ ﻞ ﻟ ﻠ ﻡ ﻢ ﻣ ﻤ ﻥ ﻦ ﻧ ﻨ ﻩ ﻪ ﻫ ﻬ ﻭ ﻮ ﻯ ﻰ ﻱ ﻲ ﻳ ﻴ ﻵ ﻶ ﻷ ﻸ ﻹ ﻺ ﻻ ﻼ ﻽ ﻾

البقرة: ٢١ ــ ٢٤

فالقرآن الكريم من دلائل النبوة ، وهو كتاب الرسالة من السماء قامت الحجة به ومن خلاله ، ومن أراد معارضته انتصارا لما يزعم ويدعي فالتحدي قائم ، وفي هذا السبيل يتجلى الحق عن الباطل ، ويتبيّن الصادق من المكذّب ، وكلُّ هذا في باب الاستدلال المستند إلى العقل والوجدان ، وليس سوى ذلك طريق ومنهج لإثبات الكتاب والمرسل وصلتهما بالسماء من عدمها على مَنْ أحتج القرآن عليهم بمسائل كثيرة ومختلفة بدءا من التوحيد إلى البعث والنشور ثم الحساب والجزاء .

أخلص إلى أن النقاط التي ذكرتها آنفا من أهم عوامل توليد البنية الاستدلالية في القرآن الكريم وقوامها ومن خلالها نستطيع أن نتبيَّن أركان الاستدلال وأسسه التي يبنى عليها .

أركان الاستدلال [٤٤] :

يبدو للباحث إمكانية تحديد أركان الاستدلال من خلال تحليل العملية الاستدلالية نظرياً فحسب ، إذ لا يمكن واقعاً فصل أو تفكيك أركانه ؛ لأنه يمثل فكرة مترابطة الأجزاء تراكب المحصلات الدلالية حتى تصل بك حركية الاستدلال إلى النتيجة النهائية التي تربط المقدمات بالنتائج ، نها عملية فكرية وقدرة عقلية فاعلة ومؤثرة في الإثبات والإقناع[٤٥] .

ومهما يكن من أمر فإن أركان الاستدلال وفقاً لفهمه قرآنياً ، ينقسم على خمسة أركان وهي :

الركن الأول :- المـُستدِل :

واعني به صاحب الاستدلال وهو بالمبدأ العام القرآن الكريم ، وهو كلام رب العزة والعظمة أو مَنْ ينقل على لسانهم حكاية من الأنبياء والملائكة والمؤمنين ، أو أقوام الأنبياء في حجاجهم وجدالهم الأنبياء والمرسلين ، ولعل الباحث لا يفارق الصواب حينما يرى أن التمييز بين المستدلين أو الفاعلين للاستدلال يمكن أن يكون في جانبين بلحاظ غاية المستدل ومقاصده ، فإذا كانت الغاية الحق والصدق وتأصيله بالعلم والتعقل والتفكر كان ذلك المستدل المحق المنصف وهذا الجانب الأول ، والمقابل له ــ الجانب الثاني ــ المـُستدلُ الذي غايته الكفر والعناد ، والإصرار إلى الذنب فهو المضلّ الذي لا يستند إلا على الظن ، ولا يرجو سوى سوء المنقلب على زيف مراده ومقاصده ، والشواهد القرآنية أوضح من أن تحصر في غالب الكتاب العزيز.

الركن الثاني : المستدَل عليه :

وقصدي من ذلك موضوع الاستدلال ، أو الموضوع الذي يراد إثباته ، وإذا نظرنا إلى موضوعات القرآن الكريم التي أراد الاستدلال لها أو عليها لرأيناها كثيرة ومتعددة ، ويتصدرها قضية إثبات وجود الله تبارك وتعالى وربوبيته والدعوة الحقة إلى عبادته وتنزيهه عمّا لا يليق به ، وليس ثمة مبالغة في قول الأستاذ العقاد " لم تتكرر البراهين على إثبات وجود الله تعالى في كتب الأديان السماوية كما تكررت في القرآن الكريم " [٤٦] .

ولعلنا ندرك حقيقة ذلك عندما نرى مئات الآيات القرآنية كانت مدار الاستدلال على الربوبية والقدرة الإلهية على الإحياء والإماتة ، ومجادلة الكفار والمشركين من أقوام الأنبياء والمرسلين[٤٧] ، بأوضح البراهين وأبلغ الحجج ، وأقوى الدلائل ، في سياقات متلاحقة ومواطن متلازمة فلا " تنتهي من استدلال ليقوم أخر بحسن تواصل وجمال تلاءم وتعاقب ، فيأخذ كل

---

[٤٤] لا اقصد بأركان الاستدلال في ضوء كونه صناعة منطقية ، وان قاربتُ هذا المعنى في بعض ما ذهبتُ إليه من رأي في بنيته الفكرية ، فليست الأركان الاستدلالية تعني ما ذهب إليه أرسطو من قيامه على البرهان والجدل والخطابة والشعر والسفسطة، وانما أردنا من ذلك حركية استنباط المعنى والاحتجاج له أو عليه بعمق يرصد فيه ابعاد الفكرة من جهة تعلقها الحجاجي .

[٤٥] ظ/الاستدلال /روبيربلانشي/٤١.

[٤٦] كتاب الله /ص ٢٢٥

[٤٧] ظ / منهج الجدل والمناظرة /٤١٤/١،ظ كذلك منهج القرآن الكريم في اقامة الدليل والحجة /١١٥.

سياق حقه ومراده من البراهين بحسب موضوعه ، وفرادة عرضه ، وبلاغة حكايته قرآنياً من هدم العقائد الضالة في الفكر ونقض الشرك وتحطيم عروش الظالمين والطغاة، وترسيخ العقائد الإلهية ، وبناء الأمم على نهج الرسالات السماوية في التوحيد والعقائد الصحيحة [٤٨] الفاعلة في حياة الناس والمجتمعات .

الركن الثالث : المخصوص بالاستدلال :

وأريد به الجانب الموجَّه إليه الاستدلال وكانت اغلب خطابات القرآن الاستدلالية توجه إلى الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين فضلاً عن غيرهم مع تأكيدنا بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وأن ما جرى من خطابات إنما هي في دلالتها العامة حجة على جميع المسلمين بل على من له نهج في التعقل والتفكر ، ومن عظيم لطائف القرآن وإرشاداته السلوكية التربوية انه يحاول اجتذاب المخصوص بالاستدلال إلى مبدأ الصواب بأن يجعل من نفسه طالباً للحق وهو ومقابله على جادة واحدة في وجوب البحث عن الحق والهدى ، قصداً لهما ، قال تعالى: چ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ سبأ: ٢٤

فهذا الأسلوب القرآني في التنزل إلى مقام المخصوص بالاستدلال يوحي بأن غايته إنما التوجيه والهداية إلى الحق والإيمان بما يقتضيه التعقل ويستلزم الإيمان ، فليس من وكد الاستدلال القرآني إفحام الخصم وإلزامه لمجرد الغلبة والتنازع ، وإن كان ذلك الإفحام والإلزام بالبراهين محصلاً في النتيجة ممَّن جحد الحق ، واتخذ العناد منهجاً ، والإصرار على الضلال سلوكاً بتركه التفكر والتعقل ، وما فطرت عليه النفس[٤٩] .

ومن روائع الأسلوب القرآني في الاستدلال انه يقابل الجانب الأخر (المخصوص بالاستدلال) بالحجج والبراهين الواحد تلو الأخر مقابل العناد والخصام ، وهو في كل هذا وذاك يعضّد الحجة بالحجة ، والدليل بالآخر ؛ لتكن الحجة على مَنْ كفر وضلّ أوضح وأبلغ ، قال تعالى: چ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ چ النحل: ١٢٥ ، والدعوة إلى الجدال أو الاستدلال بالتي هي أحسن عضدت كذلك بالتحذير من الذين يصدرون عن الضلالة والعزة بالإثم .

ويمكن القول إن المخاطبين بالاستدلال شكلوا ظاهرة قرآنية بأن نقل الكتاب العزيز براهينهم وحججهم الزائفة التي لا تنهض بأن تكون استدلال حق أو صواب ، وحكى موقف أنبيائهم ورسلهم منهم في الاستدلال على نقض عقائدهم ، وإعلاء العقائد الإلهية وبنائها ، وقص من جانب آخر كيف أنكر هؤلاء ما جاء به الرسالات السماوية من دون دليل أو برهان فضلاً عن ذكر مآلهم وعاقبتهم[٥٠] .

الركن الرابع : برهان الاستدلال :

والمراد منه الدليل أو الحجة التي يأتي بها المستدِّل حال إثبات صدق قضية أو نقضها ، وقد حكى القرآن العظيم استدلالاته وبراهينه وأدلته المختلفة المتنوعة بحسب القضايا التي ساقها في مقامات شتى وصور كثيرة ، ونقل من جهة ثانية أدلة الجانب الآخر من الكافرين والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين وعقد في أحيان عديدة مقابلة بين برهانه القائم على العقل والفطرة الإنسانية ، وبرهان الجانب الآخر الذي يفتقد المنطق والعقلانية ولا يركن إلا للظن ، ويعتمد المغالطة طريقاً ومنهجاً في الاستدلال فتقوده إلى الضلال والعناد فانقسم بذلك الاستدلال أو البرهان على نحوين برهان إثبات وبناء ، وبرهان نفي ونقض .[٥١]

لقد واجه القرآن الكريم الأدلة الزائفة ببراهينه القوية الواضحة ، فمسألة البعث بعد الموت مثلاً من أهم القضايا التي واجهها البرهان القرآني بما لها من تفصيلات عديدة ، فأكدها

---

(٤٨) ظ / الاستدلال القرآني في منهجه ومميزاته / ؟؟؟
(٤٩) ظ / منهج الجدل والمناظرة /٣٩٤ .
(٥٠) ظ / منهج الجدل والمناظرة /٥١٥ وما بعدها .
[٥١]) ظ / منهج القرآن الكريم في اقامة الدليل والحجة/٢٢٢

وأثبت حقيقتها التي أنكرها الآخرون باطلاً وابتعاد عن الفطرة من خلال الاستدلال بوجوه كثيرة منها قياس البعث والإحياء من خلال الأمثلة كما في قصة موسى مع قومه وما جرى من ذبح البقرة ، أو قصة عزير ، أو قصة أصحاب الكهف، ومنها الاستدلال على البعث من طريق خلق السموات والأرض ، أو إحياء الأرض الميتة وإخراج النبات، وغيرها كثير .

وكذا الأمر عندما تصدى الكتاب المجيد لأدلة المشركين والكافرين في إنكار الإلوهية والربوبية لله تبارك وتعالى، ونقض دعواهم وأدلتهم في نسبة الولد إلى الخالق تعالى عن ذلك علواً كبيراً، وإبطال مزاعمهم في الاعتراض على شخص الرسول الأكرم(ص) ، أو إنكار نسبة القرآن إلى الله تبارك شأنه ، أو ردّ دعوى أهل الكتاب لإلهية عيسى (ع)، أو نسبة صفات النقص لله تعالى عن ذلك علوا كبيرا، أو نسبة أهل الكتاب أنفسهم لله تعالى ، أو قولهم زعماً باطلاً في انتسابهم إلى إبراهيم (ع) وذريته ، و قولهم على مريم (ع) بهتاناً عظيما ، وغير ذلك .

لقد عارض القرآن الكريم بالدليل الواضح والقوي ومنهج يسوده الدعوة للهداية والرشاد ، واعتماد الحقيقة ونبذ العناد ، كل ما جاء ضالاً ، ورسّخ كلَّ ما من شأنه الهداية ، فبرهانه وحجته أفلج، ومنهجه أحمد وأرشد .

وفي الجانب المقابل ــ استدلال أهل الكفر والعناد ــ تلحظ انكسار الدليل وابتعاده عن مرامي القضية ، وانقطاع صلته بالموضوع ، وانعدام علاقته بروح البرهان الصحيح ولعل في استدلال نوح (عليه السلام) مع قومه أوضح المشاهد قال تعالى: چ ﮓ ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ هود: ٢٥ ـ ٢٧

فالدعوة الى التوحيد وعبادة الله تعالى هي دعوة سائر الأنبياء وقد استدل نوح(ع) صحة وعقلانية برهانه وتلازمه مع فطرية النفس البشرية قال تعالى : چ ﮯ ﯓ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ ﯦ ﯧ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ چ نوح: ٥ ـ ٢٠

ولا يغيب عن لحاظك ان تكرار الدعوة يقابلها الاصرار على العناد استكباراً وتعالياً ، وتكرار الدعوة وتواصلها ليلاً ونهاراً قد وصل الى نقطة افتراق ، ولا سيما بعد استفراغ الوسع الرسالي فيها وفي أساليبها المتعددة واستدلاله العجيب الذي ينتقل بالدليل والبرهان مما هو ذاتي متعلق بالإنسان كالاستغفار ، وبين ما هو سماوي متعلق بإرسال الغيث النافع ، وما هو من نعم الله تعالى على الأرض من معائش وأرزاق وتكاثر،ثم ينتقل الاستدلال بنا إلى تقرير حال قومه وعدم رعايتهم مقام الإلوهية على عظم النعم التي قدمها نوح(عليه السلام) ، التي يجدد التذكير بها مرة أخرى ، فيرتفع بالبرهان من أنفسهم وخلقهم وتنشئتهم مراحلَ وأطواراً ، إلى السماوات وما فيها من طباق ، وأقمار وكواكب مع لازم صفاتها التي يدركونها ويحسونها ، ثم يأخذ بهم الخطاب الاستدلالي إلى النظر في كيفية إخراجهم وتكوينهم من الأرض والعود إليها والبعث منها مرة أخرى ، وكل هذه الدلائل الناصعة التي تنقلنا من حجة بينة إلى أخرى أوضح وأبين ، ومن معنىً عقلي إلى دليل ومثال حسي مدرك مؤثر فاعل في حياة الإنسان وحركته ، والأعجب الأغرب إن الجانب الأخر ــ وهم قوم نوح(عليه السلام) ــ قابلوا هذه البراهين والحجج بأخرى غير ناهضة للاستدلال على كفرهم وشركهم وهي لا تخرج عن نظرهم في (بشرية نوح ، وصفة إتباعه بحسب زعمهم ، وليس لهم من فضل سابق :، وخلاصة ذلك اتهام نوح(عليه السلام) وأتباعه بالكذب) وكل هذه لا تمت الى أصل الموضوع المستدل عليه بصلة مباشرة [٥٢]، ولا سيما ان دلائل نوح(عليه السلام) وبراهينه كانت ابلغ في الاحتجاج والاستدلال على دعوته من حججهم في بقائهم على

---

[٥٢]) ظ/ دراسات في التفسير الموضوعي / ١٧٩ .

الشرك والكفر ، وقد نقل القرآن الكريم عنهم مكرهم وإصرارهم على الكفر والشرك وتولي عباده الأصنام والأوثان قال تعالى: ﭽ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ نوح: ٢٢ - ٢٣

أخلص من ذلك إلى أن ثمة مفارقة بين استدلال نوح(عليه السلام) ، واستدلال قومه فلم تواجه حجية نوح ودعوته للتوحيد وبراهينه العقلية البديهية والإنسانية والفطرية إلا بالتحول عن الموضوع إلى إشكاليات أخرى لا تمت مباشرة في الاستدلال على صحة تبينهم الكفر والشرك ، بل تراها احتيالاً وهروباً من أصل الموضوع إلى هامشه ، ولا سيما مع توافر المقاصد الباطلة لقوم نوح(عليه السلام) تقود مركب العناد وشراعه التعالي والاستكبار وغايته المكر والخداع .

ولا أحسب برهاناً استوعب أبعاد الإنسان في ذاته وعلاقاته بمحيطه الذاتي والبشري وغيره من جهة ، وبيئته الكونية الأرضية والسماوية من جهة ثانية ، ومن جهة ثالثة تواصله مع الشواهد الحسية والعقلية التي هي جزء من مسالك الحياة اليومية للإنسان مثل البرهان القرآني ، فالآيات الإلهية تحيط بنا أنى ما توجهنا فسبحان الله الذي جعلنا آية شاهده ومشهودة قال تعالى : ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ النحل: ٢ - ٤

ويبدو ان أدراكنا لقيمة أثر البرهان القرآني وفاعليته وخطابه الاستدلالي يجعلنا نتفاعل كثيراً معه عندما نرى ذلك مصاغاً بصورة مثل أو مشهد مصور يؤكد القدرة الإلهية من جانب ، وخواء وتصاغر أدلة المعارضين له من جانب آخر، ولك في تأمل آيات من سورة الحج خير دليل فبعد أن يقرر القرآن حقيقة ضلالة وظلم عبادة غير الله تعالى ، ومصير الكافرين ينبه ويحذر بمثال عجيب في مقارنة تحمل مفارقة في الحس كما في المعنى، في القدرة كما في الضعف بين الانسان ومخلوق آخر متناه في الضعف مقابل الإنسان وهو الذباب [٥٣] قال تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭼ الحج: ٧٣

وإذا أنعمت النظر في آيات السورة من بدئها لتوصلت إلى أن من أهم مزايا " احتجاجات القرآن أنه حينما يحاول إخضاع العقل ببراهينه المتينة ، تراه لا يتغافل عن امتاع النفس بلطائف كلامه الظريفة ، ورقائق بيناته العذبة السائغة جامعا بين أناقة التعبير وفخامة المحتوى" [٥٤]ومن نافلة القول الاشارة إلى أن بعض الباحثين يجعلون الأدلة القرآنية على نوعين :

الأول: الأدلة البرهانية التي تتم عن طريق تقرير القضايا بالبرهان العقلي.

والثاني:الأدلة التكليفية وتكون دلالتها على الاحكام التكليفية .ومجال العقل في هذه الآية فهمها واستنباط ما فيها من إحكام شرعية ولا ريب في أن الكتاب العظيم قد كَامَل وجمع بين الأدلة في بعديها البرهاني والتكليفي .[٥٥]

الركن الخامس : الاستدلال

ونريد به ههنا المحصلة النهائية للجمع بين سلسلة من القضايا والانتقال من حكم إلى أخر حتى الوصول إلى نتيجة مبرهنة عقلاً ووجداناً ، وللاستدلال عدة تقسيمات بلحاظ البيئات العلمية التي وظفته في استنباط معارفها .

ولعل بعض الباحثين حاولوا أن يقيدوا الاستدلال بتقسيمات المناطقة وتفريعاتهم غرضهم المقاربة إلى حد بعيد بين مفاهيم المناطقة للاستدلال في عناوينهم المنطقية والشواهد القرآنية ، ولربما بدا ذلك مسوّغاً أو مفضلاً ، إلا أنني أجد ذلك يقّيد الخطاب الاستدلالي القرآني من جهة ، ويغفل عن بعده الوجداني الذوقي ، ويهمش معانيه التفسيرية المتساوقة مع أساليبه وموضوعاته من جهة ثانية .

---

(١) ظ/منهج القرآن الكريم في اقامة الدليل والحجة/١٤

(٥٤) الاستدلال في القرآن / محمد هادي معرفة /٩٥

(٥٥) ظ/منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة /١١٥ – ١١٧ .

فأهل المنطق جعلوا الاستدلال على قسمين مباشر وغير مباشر على طريقة التقسيم الأرسطي ثم قسموا الاستدلال غير المباشر على القياس والاستقراء والتمثيل[٥٦] وحلا لباحثين أن يجعلوا أساليب الاستدلال وآلياته وفقاً لعناوين ومفاهيم أهل المنطق ولعلي التمسُ لهم عذراً كونه حركة فكرية تؤدى من خلال عمليات عقلية متلاحقة تربط بين السبب والنتيجة للوصول إلى حكم . فقالوا بالاستدلال من خلال السرد والتقسيم ،والترقي والتدلي ، والاختراع ،والقول بالموجب ، والتسليم ، والانتقال أو الهدم ، والاستدراج والقياس ،أو التوسع ،أو المناقضة إلى غير ذلك[٥٧]ولعل اعتقادنا اليقيني " بأن القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة ، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به ، لكن أورده تعالى على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلمين "[٥٨] فحديث القرآن وأساليبه وآلياته في الاستدلال أوسع من تقنين المتكلمين أو المناطقة ؛ لأنه يقوم على شمولية النظر الاستدلالي ، وتكامله مع الوجدان والذوق والبيان وهو ما تركن له النفوس ، وتطمئن إلى حكمته القلوب مع كونه مبرهناً عقلاً ومنسجما مع البديهية والمنطق[٥٩] .

وبعبارة أخرى : لا يمكن أن ننظر للاستدلال القرآني من خلال بعده البرهاني العقلاني البديهي ، من دون أن نشفع نظرنا إلى جانبه الآخر وهو اعتماده على خطاب فطرة الانسان ونزوعه الوجداني النفسي واعتقاده واطمئنانه إلى ما يتلاءم مع نقاء فطرته ومدارك حواسه ؛ من هنا احسب أن النظر إلى الخطاب الاستدلالي القرآني لا يمكن الفصل بين شقيه أبداً ، ولربما نباين الصواب عندما نعتمد جانباً على حساب الآخر سواءً في التقسيم او غيره ؛ وعليه أميل إلى أن الاستدلال يقسم على قسمين وهما :

أ- الاستدلال الصريح :

وهو المبرهن عقلاً ووجداناً وتكون حجته ودلائله واضحة مذكورة صريحة في الآية ولعله أعتمد أكثر من برهان ودلالة وانتقل من مقام إلى أخر ومن قضية إلى أخرى في برهانه كقوله تبارك شأنه : چ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ئ ئ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح طم ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم گل گم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لا لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ المؤمنون: ١٢ - ١٩

ب - الاستدلال بالإشارة والتلويح :

ويعتمد على تقرير معنى الإلوهية والربوبية وما يستلزمها من إشارات إلى القدرة على الخلق والإحياء والإماتة والرزق والعدل كل ذلك يشير ويعبر بالتلويح عن الاستدلال ويراد منه الدعوة إلى التفكّر والتأمل من جهة[٦٠] ، أو أن هذه القضايا بدرجة من الصدق والتبيان والظهور والجلاء ما لا حاجة لها إلى برهان أو دليل صريح إنما فطرتنا النقية ووجدنا خير دال عليها، وموصل اليها ، قوله تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ڎ ڎ ڎ ڎ ڈ چ ص: ٢٨ وقوله تبارك اسمه: چ و ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم گل گم نج نح نخ نم نى ني هج هم هٰ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ غافر: ٥٨ ومن لطائف الأسلوب القرآني الاستدلالي إن هذا القسم من الاستدلال جاء مسبوقاً وملحوظاً بالاستدلال الصريح ولعل الإيتاء به على هذه الشاكلة قد يكون من باب التقرير وتثبيت المعنى في الألباب كما هي الغاية من ترسيخها في القلوب والوجدان.

---

(٥٦) ظ/ مثلاً : منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة /١٣٨.

(٥٧) ظ على سبيل المثال /الإتقان في علوم القرآن /النوع ٦٨/ ١٢٦٥ ، منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد/٤٠١ ، منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة /١٧٦

(٥٨) البرهان في علوم القران /٢ /١٧

(٥٩) ظ / الاستدلال في القرآن / محمد هادي معرفه /٩٠ .

(٦٠) ظ/ منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة /٢٥٦.

وأرى أن آلية انتزاع الدلالة للوصول الى الحكم من خلال بعدي الاستدلال أمكن في الهداية والإرشاد ، وإقامة الحجة وإحقاق الحق والصدق من الاعتماد على أحدهما من دون القول بالآخر أو إغفاله.

ومن الجدير بالذكر ان قوة الخطاب الاستدلالي القرآني ،وفخامته اللغوية الأسلوبية إنما هي محصلة استيعابه منهجين فعّالين ،وأسلوبين مؤثرين في الآخر المخاطب وهما :

الأول : أسلوب السؤال الاستنكاري :

الذي يراد منه تقرير الحقائق وإثباتها وتوكيد معانيها ودلالاتها في النفوس،وذلك أن الاستفهام يحتاج إلى جواب والجواب الذي يقام على التقرير إنما هو كشف عن وجوده في لباب المسؤول ووجدانه ، وهنا يكمن رجوع المخاطب إلى نفسه ،والاحتكام إلى فطرته وبديهته ثم الوصول إلى الاجابة (الحكم)التي يحكمها ويقوّم آلياتها ، ويوازن غاياتها منطقه البرهان وعقلانيته ، والوجدان ونقاؤه . قال تعالى: چچ چ چ چ چ چ چ چ چ چ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے چ النمل:٥٩ - ٦٤

الثاني : أسلوب التمثيل والتصوير :

ويراد به تقريب صورة من أخرى أو معنى من آخر ، وقد يكون هذا التقريب التمثيلي أو التشبيه لمعنى طرفاه عقليان ، أو حسيان أو مختلفان حسي بعقلي أو عقلي بحسي ، وغايته على كل الأحوال هنا إيضاح مقاصد الاستدلال وغاياته واعتبار وضوح احد الطرفين من الآخر وأثره فيه [٦١] ولا يخفى اثر التمثيل والتصوير في الاستدلال فانه يختصر المعنى ويوجز الدلالة ويظهرها مشهداً متماسكا وان تعدد جوانبه واختلفت أشخاصه [٦٢] قال تعالى: چ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے چ الكهف: ٤٥

ليس هذا فحسب فالتمثيل يقرر ويشخص المعنى في صورة يرسمها الخيال وينتقل بها من مجرد كونها فكرة ذهنية الى تجسيد يقرب من الحس والإدراك العياني ، وكأنه واقع ملموس مشاهد حاضر فيه المخاطب يدرك أبعاده ويستوعب غاياته ، ولاسيما وهو يتحرك في حدود منطق البداهة والفطرة . قال تعالى : چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ چ النحل: ٧٥ - ٧٦

اخلص من ذلك إلى أهمية أسلوبي الاستفهام التقريري والتمثيل في ترسيخ قضايا الاستدلال وموضوعاته في العقول والقلوب ، ولاسيما أنها تأتي في مجالات تقتضي توظيفها في الإقناع و الإثبات والإلزام ، فقد ساد الاستدلال مجالات الجدل والحجاج والمناظرة ،وغالبها قد حكى القران الكريم فحواها في القصص الأنبياء. وما جرى من حجاج وجدل ومناظرة مع

---

(١) ظ / الامثال في القران /ابن القيم /٤٦ ، التصوير الفني في خطب نهج البلاغة /٥٧ ، الأثر القرآني في نهج البلاغة /١٨٨

(٦٢) ظ /الأثر القرآني في نهج البلاغة /١٩٧

أقوامهم المعاندين ، وكيف كان موقف السماء منهم ، ولعل ذلك كان المسوغ لمن إلف في علوم القرآن إن يجعل الاستدلال تبعاً للجدل ، ولم يذكروا الاستدلال بوصفه علماً من علوم القرآن على الرغم من سعته على صعيد النص وفاعليته في الخطاب القرآني وأهميته في مسار الدعوة ، فجاء في برهان الزركشي ضمن عنوان معرفة جدل القرآن ، والأمر ذاته جرى عليه السيوطي في الإتقان. (٦٣)

أستنتج من خلال ما مضى أهمية الاستدلال في القرآن الكريم كونه يمثل منظومة لها إبعادها في الفكر والخطاب القرآني ، وله أهدافه الوظيفية والسلوكية في تنمية المنهج الصائب والصحيح في مسائل الاعتقاد والإيمان ، ولعلك تصل إلى ذلك من خلال المعاني التفسيرية التي يمكن استكشافها من خلال مظاهر مقاصد الآيات القرآنية الكريمة ودلائلها وهو ما سأقف عنده في المبحث الثاني إن شاء الله تبارك شأنه.

من مظاهر الاستدلال في القران الكريم

(القسم الثاني)

مظاهر المعاني الاستدلالية

(٦٣) ظ/ البرهان في علوم القرآن /١٧/٢ ، الإتقان في علوم القرآن /١٢٦١/١١.

يتسم المعنى القرآني في سموه بعقلانية خطابه ، وارتباطه بدقائق وجدان الإنسان وأحاسيسه ، وتتأصل آثاره ، وتسود دلالاته بياناً وظهوراً مؤثراً في المخاطب مهما كان اعتقاده الفكري، ونوازعه النفسية .

والاستدلال آلة الخطاب القرآني الساحرة ، وعصاه المؤثرة المغيِّرة في أجناس الأفكار ، وطبائع الألفاظ ، وألوان الصياغات ،وطرائق القضايا المختلفة والمؤتلفة التي تتنامى فيها المعاني وتستحيل فاعلاً حاكماً في النتائج المعبرة عن مسلك الكتاب العزيز في خطابه .

فلا مندوحة للمتأمل الرائد من أن يلمس حقائق الاستدلال على لباب المعاني القرآنية في جميع المسائل التي عرضها القرآن الكريم خطاباً ألهيا بروائع الحجج حساً وعقلاً ،فتجسد واقعاً تطبيقياً عملياً وموضوعياً ملموساً في حراك المخاطب اليومية لما يؤسس يقينية برهان الاستدلال وقصديته ، ويوسع مدار أثره المعجز .

ومن عيون القضايا التي كانت مقاماً للاستدلال والبرهان هي قضية إثبات وجود الله تعالى ، وتوحيده ، وقدرته على الإيجاد والخلق والإحياء والإماتة ،والبعث والنشور فقد أوردها الكتاب العزيز بأساليبه العجيبة ، ونظمه الفريد فعرضها أكثر من مرة وأكدها استدلالاً آية بعد أخرى ، وسورة بعد سورة ، ولم يبق من صدق دلائلها وظهور براهينها بعد الحق إلا الضلال .

بعبارة أخرى تتعاضد أساليب القرآن في جوانبه البرهانية والجدلية والخطابية بعضها مع بعض ، فتشكل قوالب استدلالية تتداخل فيها الموضوعات الرئيسة المكونة لغايته ومقاصده في إثبات وجود الله تعالى ، والبرهان عليه ، وتنزيهه عن الشرك ، وتوحيده من خلال بيان قدرته على الخلق والإيجاد والإحياء والتدبير..... ، فضلاً عن الاستدلال على إنزال الكتب السماوية وبعث الأنبياء والرسل وتصديق رسالاتهم وتأييد معاجزهم في تحديهم لأقوامهم ومغالبتهم أهل الكفر والشرك والعناد ، ولعلك لا تجد هذه الموضوعات مستقلة بعضها عن بعض في سياقات آيات الذكر الحكيم، فهي مصوغة في إطار متكامل من العلاقات الاستدلالية فتنتقل بك من موضوع إلى آخر يتمم احدهما سابقه ولاحقه ، ويتكاملان مع سياقات ثانية ، حتى لتذهل من روعة طرائق انسجام الموضوعات المستدل عليها وكأنها موضوع واحد يشدُّ بعضه أواصر بعض، ولعلنا لا نغادر الموضوعية والدقة إذا حاولنا بمسلك بحثي ان نفرد بعض موضوعات الاستدلال بشكل مستقل لنقارب بين مضامين المعاني التي تشكل من خلالها بصورة اعتقد أنها تجسد المقاصد الاستدلالية المتوخاة من إيرادها في لوحات معبرة غائية ، مع الإقرار بأن هذا المسلك لا يمكّن الباحث من إفراد موضوعات الاستدلال إلا بصورة نظرية وان تداعي المعاني الاستدلالية وتناسبها البياني ، وتفاعلها ، وتراتبها المعجز ، وانعدام مزايا تفردها أدى إلى اعتماد

منهج التلفيق بين معاني الموضوعات الاستدلالية والوقوف عندها موضوعاً بعد أخر، ولو كان ذلك نظرياً في اقل الاحتمالات وتأسيساً لما سبق يمكن الاطمئنان إلى أن أهم الموضوعات التي نستجلي من مظاهرها المعاني الاستدلالية كان تنزيه الباري تعالى ذكره عن االشرك وتوحيده وإبطال مزاعم المفترين ، فقد توافرت الاستدلالات الباهرة ، والبراهين الظاهرة ، والحجج القاهرة في خطابات القرآن وأساليبه في أثبات وجوده تبارك شأنه ، وتوحيده ، ونفي الشرك به كما في توصيف المكذبين . والمتحقق من الشواهد القرآنية في هذه المسألة يلحظ عناية القرآن الكريم في المسألة وتعضيد غاياته ومقاصده بالشواهد الحسية والعقلية التي لا يمكن الانفلات من إدراكها ، أو الهروب من سطوة وضوحها .

هذه الثلاثية (التنزيه – التوحيد – نقض الشرك) وان تكاملت في ترتيبها المعنوي والدلالي والعقدي إلا أن القرآن الكريم سعى إلى توجيه الأنظار نحوها من خلال حكاية أقوال الآخر المقابل سواء كان ذلك الآخر فرداً طاغياً أو جمعاً مشركاً ، ولعل في قصة خليل الله إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله أفضل الصلاة والسلام) خير شاهد فالقرآن الكريم ينقل إنكار إبراهيم (عليه السلام) على (آزر) اتخاذه الأصنام آلهة من دون الله تعالى وينكر على قومه الأمر عينه ، ويحكي لنا الكتاب العزيز ذلك أكثر من مرة [٦٤] ، وفي كل ذكر له (عليه السلام) يوجه الاستدلال بصورة حية وبمشهد مصور من تعدد الحوار وتجدده ، وتنوع الخطاب وتفرده ، فحينا يدور الكلام بين إبراهيم (عليه السلام) و(آزر) [٦٥] ، وثانيةً بينه (عليه السلام) وقومه [٦٦] ، وأخرى يجمع الطرف الآخر آزر وقومه معاً [٦٧] .

ومن لطيف الإشارة هنا إن تكرار الحوار والاستدلالات كان واقعاً متجدداً أكثر من مرة في خطاب إبراهيم (عليه السلام) ؛ لذا تكررت بحسب ذلك ذكر احتجاجاته في قصته القرآنية مرة بعد أخرى ، ولعل ورود ذكر إبراهيم (ع) مرتبطا بالذين معه في سورة الممتحنة دليل على مواكبة تعدد ذكر قصته في القرآن المجيد ، مع حركية رسالته في قومه حتى كان له من الإتباع والمؤمنين به ما يكوّن الأسوة الحسنة التي عبر عنها التنزيل في قوله تعالى چڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ چ الممتحنة: ٤ - ٦ وإذا تأملت في قوله : " والذين معه " و " فيهم أسوة حسنة" وغيرها من الضمائر والضمائم الدالة على المؤمنين بإبراهيم لرأيت أن ذلك لم يتحقق في أول دعوته لقومه ، وإنما جاء بعد إعلانها حتى تحققت له ثلة ممن هم على شاكلته التي عبر عنها القرآن بالأسوة الحسنة ، وهي ما نلمح فيها الدلالة على تزامن تكرار هذا الجانب من قصة الخليل (عليه السلام) في استمرار خطابه وتجدده مع قومه حتى كان في كل ذكر جديد لقصته تفرد في إشارة جديدة لواقع فعلي في القصة [٦٨] .

ومهما يكن من أمر فقد أنكر إبراهيم (عليه السلام) على أبيه وقومه عبادتهم من دون الله تعالى في آيات متعددة وفي سياقات مختلفة تنوعت فيها طرائق الخطاب وأساليب إبطال ما يعبدون قال تعالى : چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ چ الأنعام: ٧٤ ، وقوله تعالى چ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ چ مريم: ٨١ - ٨٢ ،

---

[٦٤] وردت احتجاجات إبراهيم (عليه السلام) في خطابه واستدلاله مع آزر ومع قومه في السور الآتية وهي : ظ / سورة الإنعام /٧٤-٨٣ ، مريم /٤١-٤٧ ، الأنبياء /٥١-٧٠ ، الشعراء /٦٩-٨٢ ، العنكبوت /١٦-٢٤ ، الصافات /٨٣-٩٨ ، الزخرف /٢٦-٢٨ ، الممتحنة /٤ ، وهذا غير آيات أخرى كثيرة جاءت على ذكر بقية حراك قصة إبراهيم (عليه السلام) في القرآن الكريم .

[٦٥] ظ / مريم /٤١-٤٧ .

[٦٦] ظ / العنكبوت /١٦-٢٤.

[٦٧] ظ/ الأنبياء /٥١-٧٣ ، كذلك الشعراء /٦٩-٨٨.

[٦٨] ظ / لماذا تتكرر قصص الأنبياء في القرآن الكريم /١٦١.

ﭧ ﭨ ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ
ﰃ ﰄ ﰅ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ الأنعام: ٨١ - ٨٢
ﭧ ﭨ ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ
ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ الأنبياء: ٥١ - ٥٤
ﭧ ﭨ ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ الشـــعراء: ٦٩ - ٧١

ﭧ ﭨ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ
ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ العنكبوت: ١٦ - ١٧ ﭧ ﭨ ﭽ ﭰ
ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ
الصافات: ٨٣ - ٨٧ ﭧ ﭨ ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ الزخرف: ٢٦

في هذه الآيات تحرير أسلوبي قرآني حواري في تأكيده عبادة قوم إبراهيم (عليه السلام) من دون الله تعالى ، وأنت تلحظ في كل هذه الآيات الكريمة أسلوب النفي ، والسؤال وهي ظاهرة في قوله تعالى : (لم تعبد ٠٠) وقوله :(أتتخذ أصناما آلهة٠٠)، وقوله :(وكيف أخاف ما أشركتم) ، وقوله :(ما تعبدون...) ،وقوله :(ماذا تعبدون ...) ، وهذا الأسلوب يظهر خطاباً دالاً في اتجاهين :

الأول : الاستنكار والتعجب من المسألة التي لا يراد منها الاستعلام والاستفهام[٦٩]بقدر ما يراد منها التعجب والنقض والتبرم ، لذا نلحظ أن إبراهيم (عليه السلام) يسألهم من جهة ويقرر عليهم الإجابة من جهة أخرى كما في ﭧ ﭨ ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ الصافات: ٨٥ - ٨٦ .

الثاني : الاحتجاج على الآخر من خلال إقراره بالكفر وهو الأمر المستهجن ممن هو أهل للعبادة حقاً ، ولعل هذا المعنى يقرره كمال أسلوب خليل الله عند براءته من عمل أبيه وقومه[٧٠] ، وقد تصدى إبراهيم (عليه السلام) لظاهرة الكفر باستدلال عضد بين أساليب متنوعة قامت على الجمع بين ما يُدرك وما يُتعقّل ، بين ما يُلمس ويُحس ، وما يُتدبَر ويتُفكرّ أو ما يعتمد أدنى درجات التفاعل مع تصورات الإنسان ومتطلباته بمَن يُعتقد أنه بمقام (الآله) وهذا أمر لا يمكن الاطمئنان إليه إلا من خلال التجارب بين المُعتَقِد والمُعتقَد به ؛ ولا تكفي التصورات النظرية سبيلاً للاعتقاد ، من هنا كان استدلال قومه الكافرين ذلك التصور البائس الخاطئ ﭧ ﭨ ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ الأنبياء: ٥٣، وقوله عزّ من قائل حكاية على لسانهم ﭧ ﭨ ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ الشعراء: ٧١

إنه تصور التقليد الأعمى الذي يغيب فيه العقل ، ويحيى به العمى والعزة بالإثم ، في حين نجد براهين الخليل (عليه السلام) من لباب العقل والفطرة التي لا ينصرف عنها فطن ، ولا يغفل عن الإحاطة بحقيقتها الشاخصة متعقل ، سمتها العلم خلاف الظن وكل يأخذ بصاحبه مأخذه ، فالعلم يهدي إلى الصراط السوي ، والظن لا يغني شيئاً سوى الضلال الأعمى وهو ماجاء على لسانه (ع) ﭧ ﭨ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ مريم: ٤٣.

وعلى أية حال فقد كان استدلال إبراهيم (عليه السلام) يهدف إلى توجيه أنظار قومه إلى حقيقة جنس الجماد ، وفقدانها أهلية التجاوب مع معتقديها ، فهي صماء بكماء لا تسمع ولا تبصر بل لا تغني شيئاً، فلا نفع ولا ضرّ لها وهي قاصرة عن دفع الضر عنها ، فكيف تدفع عن عابديها أو تنفعهم ﭧ ﭨ ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ الشعراء: ٧٢ - ٧٤ ، وقوله تعالى على لسان خليله : ﭧ ﭨ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ العنكبوت: ١٦ – ١٧

---

[٦٩]/ ظ: الكشاف /٣/٢٤١ ، كذلك/مفاتيح الغيب /١٤٢/٢٤ .
[٧٠]/ وهو ظاهر من قوله تعالى في :(الزخرف /٢٦) ، وقوله تعالى :(٤) ، وقوله جل وعلا :(العنكبوت / ١٦-١٧)

فقد أشار (عليه السلام) إلى أن غاية ما وصلوا إليه من استدلال عقيدتهم هو عبادة الأقدمين الأولين من آبائهم إلا إن هذه الأولية والتقدم بحسبان العقل والتفكّر ليست برهاناً على الصحة ، والباطل الذي كان عليه آباؤهم لا ينقلب حقاً بالتقادم ومرور الأزمان والدهور[٧١] ، ولعلك تجد من لطائف الاستدلال هنا تقرير " عدم منفعة في الحال وفي المآل ؛ وهذا لأن النفع إما في الوجود ، وإما في البقاء ، لكن ليس منهم نفع في الوجود ؛ لان وجودهم منكم حيث تخلقونها وتنحتونها ، ولا نفع في البقاء لأن ذلك بالرزق ، وليس منهم ذلك ، ثم بين إن ذلك كله حاصل من الله تعالى ﴿فابتغوا عند الله الرزق ﴾ ، فقوله : ﴿الله ﴾ إشارة إلى استحقاق عبوديته لذاته ، وقوله (الرزق) إشارة إلى حصول النفع منه عاجلاً وآجلاً "[٧٢] .

مراتب استدلال إبراهيم(عليه السلام):

ومن النظر في استدلال الخليل (عليه السلام) على إثبات وجود الله تبارك شأنه فأنك ترصد مراتب عديدة لذلك منها :

المرتبة الأولى: ما سبق في بيان حقيقة اعتقادهم القائم على ما يختلقون من إفك وتصورات في معبوديهم لا ترقى لأهلية عبادتهم كونهم فاقدون للنفع والضر، فضلاً عن السمع أو البصر، وإذا كان هذا الحكم الاستدلالي قد يبدو في ظاهر أمره نظرياً فأنه (عليه السلام) قد وثق وأظهر ذلك عملياً ، وجعله أمراً قاهراً في نقض اعتقاد قومه لا ينفلتون من سطوة صوابه ، وقوة منطقه وبراهنه .

المرتبة الثانية: التي يجدُّ فيها إبراهيم (عليه السلام) بتحطيم الأصنام وتكسيرها والاستدلال من خلالها على واقع حقيقتها كونها لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً ،وهي مدار آيات سورة الأنبياء والصـــافات ٹ ٹ چ گ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ
ۓ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ
ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ
ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ
ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڍ
ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں
ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮪ ﮫ ﮬ چ الأنبياء: ٥١ - ٦٨
، وقولــه تعــالى : چ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ
ے ے ۓ ۓ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ چ الصافات: ٩٠ - ٩٦

وتبدو من خلال خطابه (عليه السلام) أمورا عديدة أهمها انه أقسم وعزم على كيد الأصنام والكيد واضح في إثاراته الفعلية بالتحطيم ، وتهكمه وتحقيره واستهزائه بآلهتهم من خلال دعوته لهم بالنطق أوسؤآلهم[٧٣] وأمثاله وهو يعلم أنهم لا يحيرون جواباً ، وهو(ع)بحركته هذه نبه أنظار قومه وضمائرهم عن طريق إيجاد موجة نفسية ومراجعة ذاتية لأنفسهم يتدبرون ولو للحظات ويتعقلون ولو برهة من الزمن صفة معبوديهم وحقيقة معتقدهم [٧٤] ، وهو ما ينبئ عنه قوله تعالى(الأنبياء /٦٤-٦٥) كل ذلك جاء من إجراء الاستدلال الذي جمع بين العقل والفطرة في مقام واحد في الاحتجاج " لقد هزّ إبراهيم (عليه السلام) عقولهم وأجهزة الإدراك فيهم هزاً عنيفاً بهذه الإجابة ، ولا سيما قوله لهم : (فاسألوهم إن كان ينطقون) ، تحدث (عليه السلام) عن أصنامهم كأنها عقلاء مراعاةً لاعتقاد قومه فيها ، فرجعوا إلى عمق أنفسهم يحاكمونها ، إذ كشفوا إن آلهتهم لا تتكلم ولا تجيب على أسئلة عابديها ، ولم تستطيع إن تدفع عن نفسها التكسير والتحطيم ، فقال بعضهم لبعض ، أو قالوا لأنفسهم في محاكمة داخلية بينهم وبين أنفسهم " أنكم انتم الظالمون باتخاذ ما لا تسمع ولا تبصر ولا تنطق ، ولا تستطيع إن تحمي

---

(٧١) ظ/ الكشاف /٣/٢٤١ ، كذلك ظ / الأمثل / ١١ /٣٩٣
(٧٢) مفاتيح الغي /٢٥ /٤٤ ، ظ كذلك الميزان /٥/٢٨١.
(٧٣) ظ / تفسير البصائر : ٣٤ :٢٦٩ ، ظ كذلك / معارج التفكر ودقائق التدبر /١٤ / ٣٢٥ ، ظ / الميزان / ٧ / ١٦٣ .
(٧٤) ظ / الأمثل / ١٠ / ١٩٢ .

أنفسها ممن يريد تكسيرها وتحطيمها.لكنهم بعد ذلك رجعت عوامل كبرهم وانتصارهم لسوابق اختيارهم وتقاليدهم تنفخ في صدورهم ، فانقلبت مفاهيمهم التي قوّمها التنبيه الإبراهمي فنكسوا على رؤوسهم ، أذ صار أعلاهم وهو موضع جهاز العلم فيهم في موضع أقدامهم ، وهذا انتكاس جعلهم أضلّ من الإنعام "[٧٥] ، وما ذاك إلا لتركهم نعمة العقل ، ومعاندة الفطرة ، واتخاذهم التقليد الأعمى منهجاً وسبيلاً ، فَغلبّوا حجارتهم التي نحتوها على عقولهم التي سفهتها عقيدتهم الباطلة.

المرتبة الثالثة : من استدلال إبراهيم (عليه السلام) فهو احتجاجه عليهم بما هو في أنفسهم ، وما حولهم من كينونة الخلق وابتدائه ثم ما يجري من عوده وانتهائه ، وكيف له تعالى التصرف في السموات والأرض التي فطرها ، فضلاً عن تذكيرهم بما جرى على الأمم من قبلهم حينما كذبوا رسلهم فما كانوا بمعجزين في الأرض،ٹ ڈ چ ۋ ې ې ۑ ۑ ہ ہ ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئى ئى ئې چ الأنبياء: ٥٥ – ٥٦ وقوله على لسان خليله : ٹ ڈ چ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ گ گ گ ڱ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ۂ ۂ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ۑ ۑ ہ ہ ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئى چ العنكبوت: ١٨ - ٢٢ .

فاحتجاجه (عليه السلام) بالدليل الأوفى على أن الذي هو (ربكم) هو من فطر السموات والأرض ودبرهما خلقاً وإدارة ، ولعل دلالة قوله تعالى : ﴿ وأنا على ذلكم من الشاهدين ﴾ أراد به الإشارة لكثير من الأمور منها انه إجابة لقولهم : ﴿ أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين﴾ وفي التصدي للشهادة ابتعاد عن كل أمر مستهجن ، وإعلام بالقدرة على الإثبات والاحتجاج البرهاني والفعلي [٧٦] ، " أي : وأنا على ذلكم الذي قلته من الشاهدين شهوداً فكرياً مقروناً بالحجج البرهانية ومن المؤمنين به الذين يعلنون شهادتهم به ، شهادة باللسان مطابقة لما في الفؤاد من إيمان راسخ الأركان ثابت البنيان " [٧٧] ، هذا من جهة ومن جهة ثانية أرى في قوله : ﴿ من الشاهدين ﴾ إشارة لما سبق من استدلال على الخالق الفاطر في سورة الإنعام وذلك في محكم قوله تعالى حكاية عن إنكار إبراهيم عبادة أبيه وقومه للأصنام ومحاولة دعوتهم بأسلوب تدريجي عقلاني منطقي تسوده البراهين وتلازمه الحجج عليهم فليس لهم من دون الله تعالى معبود وخالق يستحق العبادة ، فالله تعالى الخالق والمدبر وحده لا شريك له ٹ ڈ چ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ چ الأنعام: ٧٤ – ٧٩ ، ومن المناسب الإشارة والتنبيه إلى أن المفسرين قد توافروا على فهم هذه الآيات بأشكال كثيرة ومسالك شتى وما يهمنا آلية استدلاله (عليه السلام) على إثبات وجوده جل وعلا وتدبيره لهذا العالم الذي فطره " فلا شك في أن إبراهيم (عليه السلام) كان موقناً يقيناً استدلالياً وفطرياً بوحدانية الله ، ولكنه بدراسة إسرار الخلق بلغ يقينه حدّ الكمال [٧٨]، كما أنه كان مؤمناً بالمعاد ويوم القيامة ، ولكنه بمشاهدة الطيور المذبوحة التي عادت إليها الحياة بلغ إيمانه مرحلة "عين اليقين" [٧٩] ؛ ولذا فإن الاستدلال على هذا التوحيد والترقي فيه والإشارة إلى أن توحيد التدبير ملازم وشفيع لنقض وإنكار من يعتقد بالكواكب آلهة

---

[٧٥] معارج التفكر ودقائق التدبر /١٤ /٣٢٥-٣٢٦ ، ظ/ مفاتيح الغيب /٢٢ / ١٨٦ ، ظ/ الميزان / ١٧ / ٣٠٣.
[٧٦] ظ / مفاتيح الغيب /٢٢ /١٨٢.
[٧٧] معارج التفكر ودقائق التدبر /٣٢٢/١٤ ، ظ كذلك الجامع للإحكام القرآن /١٤ /٢١٦.
[٧٨] ظ/خصائص التعبير القرآني /١/ ٤٤٦ .
[٧٩] الأمثل /٣٤٨/٤.

أو مدبرة ، باعتبار أن بعضهم يشرك من جهة التدبير في أن هناك من يدبر الأمر مع الخالق الموجود ، فهو يعتقد بوحدانية الإيجاد والخلق ويشرك في أمر التدبير[٨٠] ،

وعلى أيٍّ كان الأمر فإن من يغيب ويأفل ويحضر بغير إرادته ووفقاً لقوانين الطبيعة ، وينقطع عن مربوبيه تارة ، ويشهدهم تارة أخرى لا يمكن أن يكون رباً أو مدبراً لضعفه وعدم قدرته على التحكم ببقائه أو غيابه ، بهذا التسلسل العقلي الاستدلالي التدريجي [٨١] ، احتج إبراهيم (عليه السلام) على أبيه وقومه وهو في مقام الشاهد المتيقن في ذلك والله العالم .

ومن لطائف الاستدلال ودقائقه تعبيره في آيات سورة العنكبوت مرة بلفظ (الم يروا) وأخرى بلفظ (فانظروا) وقد سبق الاستفهام الإنكاري لفظ (يروا) وما فيها من دلالة على إعمال العقل واستنكار الغفلة وعدم العناية بالحجج الباهرة ، والآيات العظيمة عليه تعالى شأنه ، ومن بعد توكيد ذلك حجةً عليهم أمرهم بقوله : (فانظروا) ولا يغيب عن تأمل اللبيب ما في دلالة (يروا ، وانظروا) من معاني التفكر العقلي القائم على توظيف الفكر والتأمل ، وحاكميّة المنطق القائم على الاستدلال الموصل إلى الحكم واليقين وهذا من صفات العقلاء[٨٢] .

أخلص من خلال ما سبق من الآيات العظيمة إلى أن إبراهيم (صلوات الله عليه) كان من منهجه في الدعوة إلى الله تعالى شأنه الاستدلال القائم على البرهان ، والاحتجاج المستند إلى نفس الإنسان وعقله الذي لا يفتر عن إحداث الإيحاء الروحي النفسي لإعمال الفطرة النقية التي لا تقبل الزائف ، ولا تركن إلا للبرهان الصحيح ، وذلك من خلال أساليب عديدة منها نقض العقائد الباطلة بالسؤال الإنكاري الدال على عدم معقولية العقيدة ومنطقها في الإيمان بما لا يُحس ولا يسمع ولا ينطق ولا ينفع ولا يدفع الضر عن نفسه ، وتسفيه الحجج التي تقوم دفاعاً عن ذلك أمثال التقليد الأعمى للباطل ، فضلاً عن التنبيه على ما يقابلها من البراهين الساطعة لصدق دعوته ويقين شهادته على ذلك في الابتهال إلى الله تعالى والتوجه إليه والتوكل عليه بكل قوة وعزم وإرادة من دون إن يكون لعناد قومه أو وعيدهم له مقام في التراجع بل كان العكس من ذلك إنما انذرهم بالوعيد إزاء التكذيب والإصرار على الكفر.

استدلال كليم الله موسى (عليه السلام):

وإذا غادرنا استدلالات خليل الله تعالى فلنا مع كليم الله موسى بن عمران(ع) مقام جديد ينبئ عن استدلاله في مقامات كثيرة ومواقف متعددة قص القرآن الكريم علينا بعضاً منها [٨٣] ، ولا سيما فيما تعلق بإثبات وجود الله تبارك وتعالى قال عزّ من قائل ٹ ڈ چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ

ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ چ طه: ٤٩ ــ ٥٦ ، وقوله كذلك في سورة الشعراء في حوار موسى مع فرعون : ٹ ڈ

چ ... چ الشعراء: ٢٣ - ٣٣ .

فهذه الآيات الكريمة تظهر اتجاهين مختلفين ومنهجين متناقضين ، فمسلك منهما قوامه الطغيان والقهر بالسلطة الزائلة التي توهم بالتفرد الذي لا يماثل الى حد الشعور بالربوبية ، وسبيل يدعو بحجة العقل والبرهان الى فاطر السموات والأرض يقول حقاً وينطق صدقاً ، وفرق شاسع بين المنهجين فرعون الطاغية يغالط ، ويجحد ، ويعاند ، ويتهكم في الحوار مع موسى (

---

[٨٠] ظ / الميزان /٧ /١٨١ ، ظ كذلك / القصص القرآنية / ١ / ٢٠١ ــ ٢٠٣ .

[٨١] ظ / الأمثل /٤ /٣٥٢ ، ظ كذلك / معارج التفكر ودقائق التدبر /١١ /٣٠٨-٣٠٩ ، ظ كذلك / الميزان / ٧ /١٩٢.

[٨٢] ظ / مفاتيح الغيب /٢٥ /٤٧ ، ظ كذلك / الأمثل / ١٢ /٣٥٨ ، ظ /الأساس في التفسير /٨٠ /٤١٩٧ .

[٨٣] ظ / على سبيل المثال الآيات الآتية : الأعراف /١٠٥ ، ١٣٨-١٤٤ ، الإسراء /١٠٢ ، إبراهيم /٦-٨ ، المائدة /٢٠.

عليه السلام) ، ونبي الله (ع) يستدل ويبرهن ويدعو إلى الإيمان القائم على العقل والمنطق ، وترك عمى التقليد والاستخفاف ، وكلا الوصفين يتجلى من واقع الحوارين سواء وقعا مرتين بصورة فعلية ودار الحديث فيهما عن أهم ما يميز رسالة موسى (عليه السلام) ، وهو ما اطمئن له واعتمده ، أو جرى مرة واحدة [٨٤] ، وتعددت أساليب القرآن وأسرار نظمه في حكاية الحوار في كل مرة بصورة تليق بلطائف سياقاته وأفانين تعبيره المعجز.

وعلى أية حال يتبين لك من سؤال فرعون الطاغية من حواريه انه بلغ أقصى غاية الجحود والعناد وذلك من خلال دلالة سؤاليه بـ(فمن ربكما يا موسى) ، و(٠٠٠وما رب العالمين) ، فقد أضاف كلمة (رب) للضمير الدال على موسى وهارون (عليه السلام) إنكاراً وتهكّماً واستخفافاً لأنهما نسباه لرب العالمين وأنكرا عليه ادعاءه الربوبية ، وذلك بحسب الأمر الإلهي في سياق الآيات في سورة طه [٨٥] ، ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ طه: ٤٧ ، فقد خطاباه بوصفه مربوباً من جهة ومن جهة أخرى أنهما رسولا ربه إليه مع الحجة والبرهان والأمر بإطلاق بني إسرائيل وعدم تعذيبهم.

ومن فرائد المعاني القرآنية يقتطف العلامة الطباطبائي (قدس سره) وجهاً في سؤاله بـ (مَنْ) ليس من جهة إنكاره لوجود الخالق فحسب ، وإنما هول إنكار طغيانه وقوته ، ونقض ادعائه الربوبية هو ومَنْ تولاّهم من الآلهة وهي ما جاءت به آية الأعراف في قوله تعالى ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ الأعراف: ١٢٧؛ لذا كان السؤال بـ (مَنْ) والإجابة الاستدلالية من موسى (عليه السلام) بتحديد وصف هذا المعنى المكنى عنه بـــ(مَنْ).

يقول العلامة الطباطبائي " فقول فرعون : "(فمن ربكما) ليس إنكاراً لوجود خالق الكل ، ولا إنكار أن يكون له إله كما يظهر من قوله : (ويذرك وآلهتك...) ، وإنما هو طلب منه للمعرفة بحال مَن اتخذاه إلهاً ورباً مَن هو غيره ؟ وهذا معنى ما تقدم أن فرعون يتغافل في قوله هذا عن دعوتهما إلى الله سبحانه ، وهما في أول الدعوة فهو يقدّر ولو كتقدير المتجاهل أن موسى وأخاه يدعوانه إلى بعض الآلهة التي يتخذ فيما بينهم رباً من دون الله فيسأل عنه "[٨٦] .

لذا كان الجواب الاستدلالي الموسوي على (مَن) بتحديد الوصف الذي لا يداني ولا يباري وهو قوله تعالى في محكم التنزيل:ﭽ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﭼ طه: ٥٠، فقد نسب بطريق باهر الجميع إليه تعالى بقوله : (ربُّنا) ، ورسَّخ أنهم خلقه تعالى وانه عز وجل المدبر والمقدّر لهم ، وعطاؤه كلّ شيء لديهم ، بوجه من العموم والإطلاق ، فهو ما لا يمكن إن تحيط بوصفه – والمخاطب فرعون – الجبابرة والطغاة ، وهذه الجملة على إيجازها " إشارة إلى أصلين أساسيين من الخلقة والوجود وكل منهما دليل وبرهان مستقل يوصل إلى معرفة الله "[٨٧]، وهو تعالى الذي وهب الوجود ولعل في دلالة تقديم" كل شيء" انه تعالى هو واهب الوجود لكل من خلقه وأوجده فلم يخل كل مخلوق من عطائه وتقدير وتدبيره وهديه [٨٨] .

فكان رد فرعون على هذا الاستدلال القاطع بطريق من التهكم ومحاولة إخراج الحوار عن أسسه بسؤاله عن عقائد القرون التي سبقته [٨٩]، وأراد بذلك إن يوجه الأنظار إلى إشراك من سبقته من الأمم ، وعدم معرفتها بمن يدعو إليه موسى (عليه السلام) ، وهذا نوع من أنواع مصادرة أدلة المقابل في إن يستجمع المحاور المغلوب على أمره شواهد مما غابت عنه ،

---

[٨٤] ظ / روح المعاني /٩٦/١٩ ، ويستدل الالوسي على إن سورة (طه) نزلت قبل سورة (الشعراء) برواية عن ابن عباس (رض) ، ونقل جواز وقوع وقوع المحاورة مرتين وان فرعون سأل أولاً بقوله : (فمن ربكما يا موسى) (طه /٤٩)، وسأل ثانياً بقوله : (وما رب العالمين) (الشعراء /٢٣) ، وقد قص تعالى ذلك السؤال الأول فيما انزله في طه والثاني فيما انزله في الشعراء.

[٨٥] ظ / في ظلال القرآن /٤ /٢٣٣٧.

[٨٦] الميزان / ١٤ /١٦٤.

[٨٧] الأمثل / ١٠ /١٤.

[٨٨] ظ / مفاتيح الغيب /٢٢ /٦٦ ، ظ كذلك / في ظلال القرآن /٤ /٢٣٣٨ .

[٨٩] ظ / مجمع البيان /٧ / ٤٣ ، ظ كذلك / تفسير القاسمي / ٥ / ٣.

وعن المقابل ويدعي علمه بحالها ولتكون شاهدة على ادعائه [٩٠]، فما كان من جواب كليم الله (عليه السلام) إلا أن يِ◌ِ◌ِ◌ِوظف ذلك لدعوته ويجعله استدلالاً لما هو فيه ، ويقرر ذلك بما بعده من الآيات الدالة على القدرة الإلهية في التدبير لخلقه ، فقد استدل بدليل عام شامل لكل الخلق أولاً ثم فصل ذلك في قضية تمهيد الأرض ، والسبل ، والسماء ، وأمر الحياة من الماء في مظهر الطبيعة وما يتعلق بها من معاش الإنعام عليها [٩١] ، وهذا بيان واضح لمعنى (ثم هدى) الذي عبر عنه بـــ(ربّي) العالم الذي لا يضل ولا ينسى[٩٢] وهو القادر على التصرف والتدبر في الأرض وفي السماء وتسخيرها لخلقه في الإنعام عليهم بما جعل من الأرض مهداً وسلك لنا فيها سبلاً كثيرة ، وجعل من السماء سبباً في الأرزاق والإنعام على الأرض التي فيها كان الوجود واليها يكون العود ومنها يكون البعث والنشور، فأثبت لله تبارك شأنه في هذا الاستدلال العظيم الخلق والإيجاد والموت والانتهاء ، ثم العود والإخراج كل ذلك تدبيراً من الحكيم الخبير . وفي هذا آيات وعبر لمن كان له لبٌّ يعقل به ،أو نهىً يتفكّر بها [٩٣] .

لقد أراد موسى (عليه السلام) إن يحرّك فيهم حواسهم المدركة التي توصلهم إلى التفكر والتدبر والتعقل بحقيقة الخالق المدبر، فما ذكر لهم من صور ومشاهد حسية عيانية فيها من دقائق صلة الإنسان بما حوله من الحياة أو الطبيعة فالأرض والسماء وما للخلق من صلة بهما فهما في تواصل عجيب في أغنائه وتلبية حاجاته من خلال تدبيرها من الخالق الذي جعل الحياة نتاجاً لما سخرّ ودبرّ لخلقه من النعم والمعائش ، ثم ينتقل باستدلاله (عليه السلام) من الصور الحسية المجسدة للحقيقة الإلهية في الربوبية إلى مقام إقرار مرجعية التدبير في الخلق والإيجاد والموت والانتهاء ، والبعث والنشر إنها بيده ولا يقدر سواه على ذلك ، ولك في تصور دلالة ألفاظ (خلقناكم ، نعيدكم ، نخرجكم) على هذه المعاني .

فما قرره موسى (ع) مظهر من مظاهر وصف من سأله عنه فرعون بـ(مَنْ) فأين منه من يدعي الربوبية وينكر كونه مربوباً، كل ذلك اسقط ما في يد المتجبر على ربه ، ولم يحر جواباً معقولاً لموسى(ع) لذلك عبرت عنه الآيات بأنه (كذب وأبى) من بعد هذه الآيات الواضحات الباهرات ، وركن الطاغية إلى وهمه وجبروت سلطانه فقال لكليم الله بما حكى القرآن المجيد ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ طه: ٥٧ ، هذه سُنـّة الظالمين لا يجدون غير الاتهام والجور سبيلا أمام الحقائق والبراهين العيانية الواضحة التي لا يُختلف عليها مطلقاً ، فإذا كانت لك الربوبية كما تدعى فغيّر ذلك عن مجراه وسنته وقوانينه في الخلق والإيجاد والرزق والاماته والبعث وغير ذلك التي سنها الخالق العظيم[٩٤].

أما حوار موسى وفرعون في آيات الشعراء ، فقد جاءت على منوال آيات سورة طه منهجاً وفكراً فتلحظ الجحود والطغيان والإنكار، وأسلوب التهكم والاستخفاف ، فضلاً عن الإتهام والقهر والتسلط بعد أن سقط ما في يده ، أمام المنطق والبرهان والاستدلال من موسى (عليه السلام) .

ومهما يكن من أمر فأن أول ما يواجهك في الحوار سؤال فرعون بقوله : ﴿وما رب العالمين﴾ ،إشارة إلى خطاب موسى وهارون له في السورة نفسها ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ الشعراء: ١٦ ، فأراد بيان موقفه منهما ومما يدعيانه بالرسالة من (رب العالمين) لأن في إنكار حقيقتهِ إنكاراً ونقضاً لإرسالهما وبطلان ما أُرسلا به [٩٥].وعلى الرغم من اختلاف

---

[٩٠] ظ / التفسير الكاشف / ٥ /٢٢٢.
[٩١] ظ / التفسير المنير /١٦ /٢٢٤-٢٢٥.
[٩٢]) ظ / المحرر الوجيز /١٠ /٣٧ ، ظ كذلك / روح المعاني /١٦ /٦٨٨ .
[٩٣] ظ/التبيان /١٧٩/٧ ، في ظلال القرآن /٢٣٣٩/٤ .
[٩٤] ظ /الجامع لأحكام القرآن /٨٢/١٤ ، ظ كذلك / روح المعاني /١٦ /٧٠١-٧٠٢ ، ظ كذلك / المحرر الوجيز /١٠ /٤٠-٤١ ، ظ / الأساس في التفسير /٧ / ٣٣٦٩.
[٩٥] ظ / في ظلال القرآن / ٥ / ٢٥٩٢.

المفسرين في توجيه معنى السؤال[٩٦]، ﴿وما رب العالمين﴾ ،إلا أنهم اتفقوا على دلالة الإنكار لله تعالى الخالق المدبر الذي لا شريك له .

ولا يخفى أن المراد من السؤال بـ(ما) الاستهزاء والتهكم إذا أريد به جنس الشيء وحقيقته ؛ لأن فرعون لا يرى غير طغيانه رباً لأحد وهو ما المح إليه في سياق الآيات كما في قوله تعالى : چ ئە ى ي ي ئج ئح ئم ئى ئي بج چ الشعراء: ١٨ ، فكيف يأتي من يدعي لغيره الربوبية وهو مَن يعرف حال موسى ونشأته عنده ، وقد أجابه موسى على ذلك وأفحمه ، ثم عاد ليؤكد إجابته واستدلاله إنكاره على فرعون بأن من تجاهلت حقيقته هو ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ وهذه الإجابة حملت بعداً في الإشارة إلى تصاغر مقام فرعون وملكه أمام مَنْ له كل هذا وما بينهما من جهة ، وإلى تقرير أن الله تبارك شأنه هو المدبر الحكيم المتفرد في السموات والأرض وما بينهما فلا ند له ولا شريك له .

فهذا التوجيه الاستدلالي بالسموات والأرض إنما شأنه تكسير جمود النفوس على سطوة الطغيان في اتخاذ فرعون رباً وألهاً وتحريك الوازع النفسي عند الحاضرين للحوار والشاهدين على تبادل البرهان والاحتجاج فيه ، ولا سيما ان استدلال موسى (عليه السلام) يعتمد على ما هو حسي ملموس شاخص ينعدم لفرعون أيّ اثر فيه دلالة على خروجه عمّا يدعيه من الإلوهية والربوبية ، بل العكس يصح انه جزء مما هو مقدّر ومدبّر وهو محكوم بإله ، ومربوب لغير نفسه ، ولعل ذلك يتضح أكثر من محاولة فرعون توجيه الحوار على غير وجهه رغبة في التمويه والاستهزاء وهو ما يبدو في قوله تعالى ٹ ڈ چ چ چ چ چ ي ي چ الشعراء: ٢٥ ، أراد توجيه نظر أتباعه وإشغالهم بالاستهزاء والتلبيس عليهم ونزعهم عن استدلال موسى وحجته ، فإذا بموسى (عليه السلام) يؤكد الاستدلال الأول بآخر ويقرر معنى مربوبية جميع الخلق ومَنْ يخاطبه ويسمعه چ ذ ذ ذ ڈ ڈ ڈ چ الشعراء: ٢٦

ولا تخفى عليك دلالة الاستقصاء والشمول للحاضر والغائب الغابر على مدى قدمه من أول الخلق، وهو دليل وإشارة على القادم كذلك من الخلق هذا من جهة ، ولعل فيه إشارة استدلالية لطيفة على سؤال فرعون في سورة طه وهي قوله تعالى على لسان فرعون :چ حم خج خح خم سج سح چ طه: ٥١، وهو دليل على تراتب الحوارين وتكاملهما واحداً بعد الآخر فعلياً والله العالم .

وجرياً على طريقة الظالمين والطغاة وأسلوبهما لم يملك فرعون إلا اتهام موسى(ع) بالجنون بصورة من الاستخفاف به [٩٧]، وبمن أرسل إليهم بما يجسد أزلية هذا الاتهام ٹ ڈ چ ژ ژ ڑ ک ک ک ک چ الشعراء: ٢٧ ، فما كان منه (عليه السلام) إلا إن يوظف كل اتهام وإصرار على الكفر والعناد لصالح رسالته من جهة ورد الاتهام بالدليل الفاعل في إفهام الناس وتعميق تفكرهم وتعقلهم في نفوسهم وبما يؤدي إلى زلزلة ثوابت عقيدتهم بفرعون رباً وألهاً إلى فكر باحث في حقائق يحسونها ويتعاملون بها في مشاهداتهم اليومية ، وهو قوله على لسان موسى (عليه السلام) چ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ چ الشعراء: ٢٨.

ويطيب لبعض المفسرين استثمار دلالة (تعقلون) وما فيها من دعوة لسيادة العقل والتدبر وان الأمر قد انقلب على فرعون في اتهامه لموسى (عليه السلام) بالجنون لأنه قد أحكم

---

[٩٦] خالف العلامة الطباطبائي (قدس سره) المفسرين في معنى السؤال وهو عنده سؤال " عن حقيقة الموصوف بهذه الصفة بما هو موصوف بهذه الصفة (رب العالمين) ، ولم يسأل عن حقيقة الله سبحانه ، فأنه لوثنيته كان معتقداً بوجوده مذعناً له ، وهو يرى كسائر الوثنيين انه لا سبيل إلى إدراك حقيقته كيف ؟ وهو أساس مذهبهم الذي يبنون عليه عبادة سائر الآلهة والأرباب " الميزان/١٥ / ٢٦٧ ، بينما ذهب طائفة من المفسرين إلى أن السؤال كان عن حقيقة الله تعالى وجنسه ، ولأن ماهية واجب الوجود كما يذهب (الفخر الرازي) لا تعرف إلا بلوازمه وآثاره الجلية استدل موسى على انه " رب السموات والأرض وما بينهما " ظ / مفاتيح الغيب / ٢٤ /١٢٨ ، ولأن ذات الله سبحانه بعيدة عن تناول أفكار الناس ، فأن موسى (عليه السلام) اخذ يحدثه عن آيات الله في الأفاق وآثاره الحية ، ظ / الأمثل / ١١ / ٣٥٨ ، ظ/ كذلك / التبيان / ٨ / ١٤ ، الجامع لأحكام القرآن / ١٦ / ٢١ ، روح المعاني / ١٩ / ٩٦ ، في ظلال القرآن / ٥ / ٢٥٩٢ .

[٩٧] ظ / مجمع البيان / ٧ / ٤٩٦ ، الأمثل /٣٥٨/١١.

استدلاله بما لا يقوى عليه أيّ مدعٍ في دفعه او التصرف فيه وهو الشروق والغروب فهي من ظواهر العظمة والقدرة الآلهية والتدبير الرباني ولعل ذلك يقرب تلميحاً من حوار إبراهيم (عليه السلام) مع نمرود[٩٨].

وأنت تلحظ طريق كليم الله تعالى في استنباط المعاني التي يريدها من بعض أقوال معانده وخصمه ، وردها عليه بمنهج استدلالي ينتقل فيه من مقام إلى آخر ، ويعدل فيه من سبيل إلى ما هو اخص منه ، واقرب لفهم السامعين والحاضرين الشاهدين لمجريات الحوار، والمغالبة الفكرية العقدية التي لا مناص من آثار نتائجها عليهم ، وفي توجهاتهم ،وما ذاك إلا لقوة الاستدلال وفخامة الدليل ووضوحه ، ومهارة المستدل وحكمته وبيان الآلية والمنهج في الخطاب ، وإجرائيات الإثبات وانتزاع الدليل ، لذا تراه (عليه السلام) قد عدل من الاستدلال (بالسموات والأرض وما بينهما) إلى (ربكم ورب آبائكم الأولين) فهذه انتقاله من دليل اعم إلى آخر هو اقرب للسامع وأخص به من باب انه محكوم به ،أو موجه في غالب ما يتعقد بما حوله ، ومن حوله ومن له الأثر الفاعل في اعتقاده ، ثم بعد ذلك انتقل في الدعوة إلى التعقل وعكس موضع الاستدلال على الفكر والنفس فمن خلال مشاهدات الشروق والغروب الكثيرة ألفها الإنسان ولم يعد يشعر بما وراء ذلك من حكمة التدبير في المكان والزمان وجادتهما الكون بما له من كواكب وأقمار فجاء (عليه السلام) بذكر المشرق والمغرب [٩٩].

وبعد كل هذه الاستدلالات النافذة فكراً ومنطقاً لم يكن من جواب فرعون إلا ما جبل عليه من الطغيان والقهر والتهديد والوعيد ، وهذا ومنطق كل الجبابرة وحالهم الذين يقابلون الفكر بالقوة والظلم والعدوان في كل عصر قال تعالى حكاية على لسان فرعون: الشعراء: ٢٩.ڭ ڭ چ گ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ۂ چالشعراء: ٢٩

ولعل ما سبق من الحديث عن خليل الله وكليمه (على نبينا وآله وعليهما أفضل الصلاة والسلام)يعد وجهاً من وجوه الاستدلال في إثبات وجود الله تعالى شأنه وتوحيده ، وعند التأمل والتدبر في محكم آياته وعزيز خطابه ترى وجوهاً أخرى في التعبير الاستدلالي عن التوحيد منها قوله تبارك وتعالى : چی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ البقرة: ١٦٣ - ١٦٤، فالآية الأولى ظاهرة في توكيد التوحيد وتقريره وترسيخه[١٠٠] ، وعموم خطابها واضح من استعمالها الضمير الدال على الجمع المطلق[١٠١] ، فضلاً عن إقرار الوحدانية فإنها تنفي وتزيح أي توهم في وجود اله آخر يستحق العبادة[١٠٢] ، وسواء جاءت هذه الآية في سبب معين أو عدة أسباب[١٠٣] ، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ومهما يكن من أمر فالآية أفادت بتراكيبها : (وإلهكم اله واحد) ، و (لا اله إلا هو) " اختصاص الإلوهية بالله عز عن اسمه ووحدته فيها وحدة تليق بساحة قدسه تبارك وتعالى ، وقوله تعالى : (لا اله إلا هو) ،جيء به لتأكيد نصوصية الجملة السابقة في التوحيد ونفي كل توهم أو تأويل يمكن إن يتعلق بها ، والنفي فيه نفي الجنس "[١٠٤] ، والتعقيب بالصفتين " الرحمن والرحيم" لتوكيد معنى الوحدانية فضلا عن أن ذكر الإلهية والفردانية يفيد ويوحي بالقهر والغلبة والعلو فعقبّها القرآن بذكر هذه المبالغة في الرحمة ترويحاً للقلوب ، ليشعرا بأن رحمته سابقة وأنه ما خلق الخلق إلا للرحمة بهم والإحسان إليهم[١٠٥] .

---

(٩٨) ظ / مفاتيح الغيب / ٢٤ / ١٢٩ ، روح المعاني / ١٩ / ٩٧ ، معارج التفكر ودقائق التدبر / ٨ /٥٩٧ ، الأساس في التفسير / ٧ / ٣٩١٤.
(٩٩) ظ / مفاتيح الغيب / ٢٤ / ١٢٩ ، ظ كذلك / في ضلال القرآن / ٥ / ٢٥٩٢.
(١٠٠) ظ / الكشاف /١/١٦١ ، ظ كذلك / جوامع الجامع /١/١٧٠ ، ظ كذلك / تعير حدائق الروح والريحان /٣ /٧٢ .
(١٠١) ظ / تفسير أبي السعود / ١ /٢٢٥ ، ظ كذلك / روح البيان /١ /٢٦٩.
(١٠٢) حاشية القونوي /٤ /٣٩٤ ، ظ كذلك / كنز الدقائق /٢ /٢٠٩.
(١٠٣) ظ / التفسير الكبير / للإمام الطبراني / ١/٢٧٦ ، ظ كذلك / الهداية إلى بلوغ النهاية /١/٥٣٥ ، ظ / عقود المرجان /١ /١٥١.
(١٠٤) الميزان /٢ /٣٩٢-٣٩٣ ، ظ/ التحرير والتنوير /٢/٧٣
(١٠٥) ظ / مفاتيح الغيب / ٤ / ٧٧ ، ظ كذلك / نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / ١ / ٢٢٥.

واتصال سياق الآية بما سبقها يشير بعظمة دلالتها على تنزيهه الله تعالى وتوحيده من جهة ، وبالاستدلال عليه بصورة فريدة من جهة ثانية فقد حذرت الآيات السابقة من كتمان ما انزل الله تعالى شأنه من البينات والهدى ،وأول ما يجب إظهاره وعدم كتمانه أمر التوحيد ، ثم وصل أمر التوحيد بالبرهان عليه من طريق التفكر والنظر في عجائب صنعه وعظمة خلقه وتدبيره[١٠٦] ، فالاستدلال على وحدانيته تبارك وتعالى بمخلوقاته العجيبة ومصنوعاته البديع المحسوسة اقرب لفهم العامة وأظهر أثراً فيهم ، وأن من توغل في التأمل والتفكر في خلقه وصنعه تبارك شأنه كان أكثر علماً بجلالة عظمته وقدرته وحكمته[١٠٧] ، فقد جسدت الآية مشاهد حسية مدركة للعيان تُوصل إلى التفكر بالعقول والجنان ، فخلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار ، وسير السفن وجريانها في البحار ، ونزول الماء من السماء ، وإحياء الأرض بعد يبسها وموتها ، وبث الخلق فيها يدبون عليها ، وتحريك الرياح والسحاب وتسخيره بين السماء والأرض يجري في حراك تدبيري حكيم لا يمكن أن تكون هذه الآيات الباهرات من دون صانع مدبر قادر ، ففي كل جزء من هذه الآيات شهادة دالة عليه تعالى يمكن استيعابها ، والركون الى وعيها عندما يوصل بين حقائقها والتدبر فيها وتعقل وجودها .

فهذه الآيات القاطعة في استدلالها ، والبراهين العظيمة في احتجاجها لا يمكن لعاقل إنكار صانعها أو جعل الشركاء فيها ؛ لأن في تعارض أرادة الشركاء واقع لا محالة في التدبير ، والانتظام والحكمة فضلاً عن القدرة ؛ لذا كان الخطاب القرآني موجِها الاستدلال بالآيات (لقوم يعقلون).

وأنت تلحظ أن الاستدلال القرآني انتقل من مقام الخلق للسموات والأرض إلى مقام الحكمة في التدبير سواء في تعاقب الليل والنهار أو حركة البحار وما فيها من السبل والطرق بما ينفع الناس إلى تقدير إحياء الأرض بالماء وما يدبُ عليها ، وفي تصريف الرياح وانتقال السحاب من مكان الى آخر فضلاً عن أن ذلك كله من المشاهد تجري بتوظيف لما هو محسوس من جهة ومُدرك قابل للتفكر والتدبر والوصول إلى الإيمان بالفاعل الحقيقي في كل هذه المشاهد والاطمئنان والسكون إلى الاعتقاد به إلهاً واحداً لا اله إلا هو الرحمن الرحيم من جهة ثانية .

و بمجرد التفكير بخلاف هذه الفاعلية في التدبير والحكمة والتقدير[١٠٨]في هذه الصور التي عرضها القرآن الكريم فإنك تصل إلى استحالة تحقق هذه النعم ، بل سيؤدي فقدان التدبير في حركية هذه النعم إلى نهاية الحياة ، وهذا ما يسلم به الفهم الصائب، والتعقل الصحيح ، فلا يمكن أن تغيب عن هذا النظام العجيب الفريد قدرة الصانع المدبر ، والكريم المقدر وهو الذي لا يستحق أمام هذه النعم العبادة سواه ، ومع كل ذلك ترى القرآن الكريم يؤكد حقيقة تسافل عقول الكفار ، وتداني مداركهم أمام هذه الاستدلالات العقلية والحسية الشاهدة عليهم بأن يجعلوا لله سبحانه من خالق عظيم ومدبر حكيم أنداداً من دونه ٹ ڈ چ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ں چ البقرة: ١٦٥ .

وهذا أمر عجيب في العناد ومخالفة الفطرة والعقل ، التي جعلهما تعالى الموجّه الذاتي لكل إنسان ، ولعل دائرة الكفر والعناد تتسع عند من ينكر هذه الحقائق حتى ليصل إلى إنكار بث الحياة في الرميم ، وعدم التصديق بالبعث والنشور والتكذيب به ، قال عزّ من قائل : ٹ ڈ چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ چ يس: ٧٧ - ٨٢ .

---

[١٠٦] ظ / الجامع للإحكام القرآن / ٢ / ٤٨٨-٤٨٩ ، ظ كذلك / تفسير القرآن العظيم / ١ / ٤٧٤ .
[١٠٧] ظ / نفحات الرحمن في تفسير القرآن / ١ / ٣٧٦.
[١٠٨] ظ / روح المعاني / ٢ / ٣٢-٣٣.

جاءت هذه الآيات في سياق استدلالي احتجاجاً وبرهاناً لمن أنكر التوحيد واتخذ من دون الله تبارك شأنه ناصراً ووليا[١٠٩]، وقد أصلت لظاهرة قرآنية [١١٠] ، مفادها إبطال التكذيب بالبعث والنشور عند من يكفر بالله تبارك اسمه ، وتحطيم مدعياتهم ، ونقض مزاعمهم وتسفيه حججهم ، بالأدلة الحسية والعقلية الموضوعية التي لا تغادر النفوس إلا وأثرها مجذّر في حنايا المسائل والقضايا التي تبحثها .

وفي هذا السياق استدلت آيات الذكر الحكيم بالدلائل الافاقية على وجوب عبادته ثمّ عادت لتؤكد ذلك بالدلائل من الأنفس ، لأنها اشمل وأكمل وأتم وألزم ، فالإنسان قد يغفل وينسهو عن خلق ما سواه لكنه لا يمكن أن يغفل عن نفسه[١١١] .

فيأتي الاستفهام الاستنكاري (" الم ير ٠٠٠ ") ، وهو مسلك أسلوبي استدلالي مبتكر نهجه الذكر الحكيم كثيراً[١١٢]، ولا يخفى ما فيه من دلالة الاستنكار على غفلة الإنسان والتعجب منها ، ولا سيما ان هذه الغفلة محاطة بمعاني يلوّح القرآن الكريم بذكرها منها أنها غفلة عن اقرب ما يكون للإنسان في نفسه، وهو أمر خلقه ، والثاني أنها غفلة معقدة مركبة في حال من الخصام والجدل ، والظهور والعلن ، ولعل في صياغة (خصيم) المبالغة في العناد والتنازع في أمر آياته ودلائله منه وفيه فهو غافل عن جهله وغفلته ، أضف إلى ذلك استعمال (إذا) الفجائية المتصلة بالفاء الدالة على قوة استنكار القرآن على الإنسان هذه المعاني[١١٣] ، في إظهار عقيدته الباطلة في تكذيب البعث والنشور والاحتجاج لها بضرب المثل في حال من حاكميه الغفلة والنسيان على التفكر في خلقه وإيجاده من(نطفة)وهو منها، والعجيب انه يتسأل بدلالة الإنكار كذلك والتعجب (قال من يحي العظام وهي رميم) ، فهو يقايس القدرة الإلهية بقدرته وقد غاب عنه حاله ، أو التأمل في أصله وخلقه ومبدئه[١١٤] ، فيأتي الجواب الاستدلالي والبرهان الإلهي لخرس قبح وفضاضة السؤال ، ويحتج على ذلك بالدلائل المتعاضدة المتتالية التي ترسخ مبدأ التعقل والتفكر وتنسف عقيدة المكذب الذي يجعل ـ واهماً ـ من نفسه وقدرته مثالاً لقدرة الصانع الحكيم سبحانه ، وذلك بالإيحاء الذي في الآية وهو إشارتها إلى أول الإنشاء وهي (النطفة) التي عبّر عنها المنكر في المقابل بـــ(العظام) التي جاءت في سؤال المكذب على أنها أعظم ما في الإنسان وأقواه فإذا بليت ، وتفتت فكيف بباقي جسده فـ(النطفة)هي أصل هذه العظام وكل أجزاء الإنسان التي كونت هذه الهيئة ، ثم يردف القرآن الكريم الدليل بالدليل والحجة بالحجة وينتقل بالإنسان من نفسه إلى ما حوله مجدداً ويدعوه إلى التفكر والتدبر فيما هو بين يديه ، وشاخص في حياته ومتمثل إمام عينه وهو إخراج النار من الشجر الأخضر[١١٥] ، فقد "أقام الله عز وجل الدليل عليهم يرفع استبعادهم ويبطل إنكارهم بالشجر الأخضر الممتلىء بالماء المضاد للنار علماً بأن هذه تتولد من ذاك ، مع أن الشجر الأخضر من الماء ، والماء بارد رطب ضد النار ، وهما لا يجتمعان وقد اخرج الله تعالى منه النار ، فهو القادر على إخراج الضد من الضد ، لأنه تعالى

---

[١٠٩] لعل سياق الاستدلال من الآية (٦٠) من سورة يس .

[١١٠] ظ / الآيات المباركة التي تناولت هذا المعنى واحتجت عليه (الإسراء / ٤٩ ، ٩٨) ، (المؤمنون / ٣٥ ، ٨٢) ، (الصافات / ١٦ ، ٥٣) ، (الواقعة / ٤٧).

[١١١] ظ / مفاتيح الغيب /٢٦ /٩٣ ، ظ كذلك / نظم الدرر في تناسب الآيات والسور /٧ / ٩٩.

[١١٢] من نافلة القول هاهنا أن القرآن الكريم قد استعمل أساليب شتى في إمضاء وترسيخ الاستدلال وكان من بين أهم هذه الأساليب أسلوب الاستدلال بالاستفهام الإنكاري (أو لم) ، أو غيرها مما يدل على النفي ثم ما يعقبها من ألفاظ دالة على البعد الفكري التأملي مثل (يروا ، يتفكروا ، يعلموا ،٠٠٠)، أو غيرها من الألفاظ الدالة ، أو استعمال أسلوب التقرير للمعنى الاستدلالي القرآني ومن ذلك لأسلوب التعبير الذي هو ظاهرة قرآنية تتجسد في التراكيب وأمثاله (الله الذي) أو استعمال التركيب الشائع في القرآن (ومن آياته٠٠٠) أو(ولئن سألتهم) وأمثاله أو استعمال التركيب الدال من خلال الفعل والاستفهام عن الحال نحو(انظروا كيف٠٠٠) وأمثاله أو استعمال ضرب المثل ، وغير لك من طرائق القرآن العظيم في إيراد الاستدلال على المقاصد التي يبحثها ويبرهن عليها ، ولك إن تنظر في شواهد مختلفة قرآنية جرى الاستدلال فيها على هذا النوع / ظ / المعجم المفهرس للتراكيب المتشابهة لفظاً في القرآن الكريم / ١١ ، ٤٢ ، ٣٤٦ ، ٣٧٦ .

[١١٣] ظ / تفسير المظهري / ٨ / ٥٦.

[١١٤] ظ / مفاتيح الغيب / ٢٦ / ١٠٨-١٠٩ ، روح المعاني / ٢٣ / ٧٢ ، فتح البيان في مقاصد القرآن / ٥ / ٥٣٢.

(٣) من أنواع الشجر التي يوقد منها النار وهي خضراء (المَرْخ) و(العَفَار) يشتعلان بضرب احدهما بالآخر . ظ / فتح القدير / ٤ / ٣٨٣.

على كل شيء قدير إذ جمع في الشجر الأخضر بين الماء والنار والخشب ، فلا الماء يطفئ النار ، ولا النار تحرق الخشب "[١١٦] .

فمن قدَر على ذلك قادر على إحياء العظام وبث الحياة فيها ، وجعلها كما هو حال الإنسان في حياته، ولم يقف الاستدلال القرآني عند هذا الحد في تنبيه الغفلة وإيقاظ النسيان في المكذِّب المعاند فانتقل به إلى دليل آخر أعظم واكبر قصداً في كسر صنم العقيدة الفاسدة في النفوس ، وأملاً في أحياء روح التفكر والتدبر في نفس الإنسان وما حوله ، فجاء بالدليل الأوفى الذي لا يرد وهو قوله جل وعلا بطريق السؤال الاستنكاري المبطل لفكر المخاطب وعقيدته ٹ ڈ چ ۆ ۈ ۇ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉې ې ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ چ يس: ٨١ ، فهذه الحجة في مقام التأثير أبلغ من جهة الشمول والتصور للسموات والأرض ، ولعل في ذلك إيحاءً بليغاً للعاقل أو المتعقل في أن خلق ما هو أعظم من الإنسان اكبر من خلق الإنسان وهو قوله تعالى: چ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ چ غافر: ٥٧ ، على أن كلا الخلقين خلق الإنسان وخلق السموات والأرض من دلائل وجوده وتوحيده تبارك وتعالى وكثير من الآيات الكريمات استدلت على ذلك ([١١٧]) .

ولا ريب في إن الإنسان صورة من صور قدرته وجلال عظمته فانتقال خلقه من مقام إلى آخر من الطين إلى النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى المخلقة وغير المخلقة إلى مرحلة العظام واللحم ثم من بعد ذلك هيأه أخرى ثم الموت ثم البعث والنشور ٹ ڈ چ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ چ المؤمنون: ١٢ - ١٦

ومن لطيف الأشارة هنا أن القرطبي يعقد مقاربة بين الإنسان والأرض في باب عظمة خلقه وجلال ابداعه في تصوير الإنسان على الرغم من أن وصفه شخّص الظاهر دون الولوج لباطن الإنسان يقول نقلا عن بعض الحكماء :

" إن كل شئ في العالم الكبير له نظير العالم الصغير، الذي هو بدن الانسان، ولذلك قال تعالى: " لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم " وقال: " وفي أنفسكم أفلا تبصرون ". فحواس الانسان أشرف من الكواكب المضيئة، والسمع والبصر منها بمنزلة الشمس والقمر في إدراك المدركات بها، وأعضاؤه تصير عند البلى ترابا من جنس الارض، وفيه من جنس الماء العرق وسائر رطوبات البدن، ومن جنس الهواء فيه الروح والنفس، ومن جنس النار فيه المرة الصفراء. وعروقه بمنزلة الانهار في الارض، وكبده بمنزلة العيون التى تستمد منها الانهار، لان العروق تستمد من الكبد. ومثانته بمنزلة البحر، لانصباب ما في أوعية البدن إليها كما تنصب الانهار إلى البحر. وعظامه بمنزلة الجبال التى هي أوتاد الارض. وأعضاؤه كالاشجار، فكما أن لكل شجر ورقا وثمرا فكذلك لكل عضو فعل أو أثر. والشعر على البدن بمنزلة النبات والحشيش على الارض. ثم إن الانسان يحكى بلسانه كل صوت حيوان، ويحاكى بأعضائه صنيع كل حيوان، فهو العالم الصغير مع العالم الكبير مخلوق محدث لصانع واحد، لا إله إلا هو. "[١١٨]

ومهما يكن من أمر فالآية المباركة بجوابها (بلى وهو الخلاق العظيم)، إنما تقرر القدرة الإلهية وتنزع هذا التعجب والإنكار من المكذّب في مَثَله الذي يخاصم به لترسيخ قدرته اللامتناهية " في الخلق والعلم كيفاً وكماً "[١١٩] ، وهي بعض إشارة المبالغة في قوله (الخلاق) التي تعضّد بأسلوب الحصر في بيان هذه القدرة الإلهية المحصورة بين الكاف والنون فليس للزمان او المكان الكبر أو الصغر أمام هذه الإرادة حاجز [١٢٠] ، ولعل التنزيه لله سبحانه في آخر السورة أعظم دليل على قصور الأفكار والأوهام عن تصور هذه القدرة المطلقة العامة التي لا

---

[١١٦] تفسير البصائر / ٣٣ / ٩٧٥، ظ كذلك / الميزان / ٢٣ / ١١٢-١١٣.

[١١٧] ظ / المعجم المفهرس للتراكيب المتشابهات في القرآن الكريم / ١٤٦-١٤٧٦.

[١١٨]) الجامع لأحكام القرآن /٢ /٥٠٥ ــ ٥٠٦ .

[١١٩] روح المعاني / ٢٣ / ٧٧.

[١٢٠] ظ / في ظلال القرآن / ٥ / ٢٩٧٨.

ينفلت منها شيء ولا تخرج عن العلم والإرادة ثم العود إليه تبارك وتعالى وهو لب المقاصد التي جاء الاستدلال عليها في سياق هذه الآيات وبياناتها الدلالية والله العالم

هذه بعض المظاهر من المعاني التفسيرية للاستدلال في كتاب الله المجيد الذي صاغ نظرية معرفية للاستدلال في مبانيه وأركانه ، ومعانيه ودلالاته في محكم آياته ، وقد حاولت إن أتلمس شيئاً من لمحاته العجيبة وارتشف قطره من زلال فراته الطيب ، مقراً على نفسي بالقصور والتقصير في الإيفاء بحق ما نظرت فيه ، وتأملت بخطابه ولم تكن حجتي في ذلك إلا أملي في أن استنير بهداه فهو الهادي إلى خير سبيل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربَّ العالمين وصلى الله على محمد الأمين وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين .

الخاتمة وأهم نتائج البحث

يمكن للباحث أن يقرر بعضا من أهم النتائج التي توصل إليها :

- أظهرت الدراسة ملامح من المنظومة الاستدلالية في قيامها على تعاضد العقل والفطرة في الخطاب الاستدلالي القرآني .
- بيَّن الباحث أن الاستدلال اتخذ أساليب كثيرة متعددة ،جسدت شمولية القضايا التي تناولها وفقا لمنهج تقريري عقلي بديهي لا سبيل في الاختلاف عليه.
- أوضحت الدراسة أركان العملية الاستدلالية ، وكشفت عن منهجها في الوصول إلى المعاني والحقائق المرادة من خلال تأسيس وإقرار العقائد السماوية و الشرائع الإلهية ، ونقض ما سواها .
- اجتهد الباحث في اختيار تقسيم الاستدلال على نوعين هما : الاستدلال الصريح ، والاستدلال بالإشارة والتلويح ، بدلا من تقسيمات المناطقة له ؛ بناءً على أسبابٍ موضوعية .
- كشف الباحث أن قوة الخطاب الاستدلالي وفخامته اللغوية والأسلوبية هي محصلة استعمال منهجين فعـَّالين مؤثرين هما أسلوبا الاستفهام الإستنكاري ، وأسلوب التمثيل والتصوير .
- وقف البحث مظهرا ومشيرا إلى أهم مسائل الاستدلال القرآني وهي التوحيد والخلق والتدبير والبعث والنشور ، وأوضح شيئا من كيفية انتزاع القرآن الكريم براهينه ودلائله من مديات الاستدلال على الإنسان في نفسه وآفاقه وانتقاله من دلالة إلى أخرى .
- استكشف البحث لطائف من ترتيب آيات القرآن الكريم وأسرارها ، وأوضح أن الاستدلال الطريق الأمثل لمعرفة كيفية انتظام موضوعات السور القرآنية وبيان مقاصدها.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الإتقان في علوم القران ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ,(ط١, دار نوبلس, بيروت,٢٠٠٧م)
- الأثر القرآني في نهج البلاغة ، الدكتور عباس علي الفحام،(ط١ ،مطبعة دار الرافدين ، بيروت ،٢٠١٠م)
- الإحصاء الاستدلالي في علم النفس د محمود عبد الحليم منسي ,(دار المعرفة الجامعية- مصر,٢٠٠٧م)
- أساس البلاغة،لأبي القاسم جار الله عمر بن عمر بن احمد الزمخشري(ت٥٣٨)،تحقيق :محمد باسل ،(ط ١،دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ،١٤١٩هـ/١٩٩٨م)
- الأساس في التفسير،سعيد حوى , دار السلام, (ط٢،١٤٠٩هـ-١٩٨٩م)
- أساسيات الاستدلال الإحصائي،د. عبد المرضي حامد عزام, د. اسامة عبد العزيز سيد(الدار الجامعية –مصر, ٢٠٠١م)
- الاستدلال، روبير بلانشي , ترجمة أ. د محمود اليعقوبي (دار الكتاب الحديث,القاهرة,١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)
- الاستدلال البلاغي، شكري مبخوت (ط١,المغرب –دار المعرفة للنشر ٢٠٠٦م)
- الاستدلال عند الأصوليين، د .أسعد عبد الغني السيد الكفراوي ،تقديم الأستاذ الدكتور علي جمعة (ط٢ ،دار السلام للطباعة ، القاهرة ـ مصر ، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م)
- إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة وتصحيحها وبيان العلل المؤثرة ، شمس الدين محمدبن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق أيمن عبد الرزاق الشوا،(ط١ ،دار الفكر المعاصر ،١٤٢٧هـ ــ ١٩٩٦ م)
- الله ، عباس محمود العقاد ، (ط١،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ـ لبنان ،١٩٧٨م ،مطبوع ضمن الموسوعة الكاملة للعقاد ،الجزء التاسع)
- الأمثال في القرآن الكريم، لأبي بكر بن محمد ابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد إبراهيم ،(ط١ ، مكتبة الصحابة ، مصر ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)
- الأمثل في تفسير كتاب المنزل،الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (ط١, مطبعة أمير المؤمنين قم –ايران , ١٤٢١هـ)

- البحر المحيط في أصول الفقه ، بدر الدين محمد ..... بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)(ط١, دار الكتب العلمية , بيروت –لبنان,١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)
- بحوث في مبادئ الاستدلال، رضا الغرابي(ط١,مؤسسة الصفاء للمطبوعات ,بيروت لبنان, دار الكتاب العربي بغداد ,٢٠١١م-١٤٣٢ هـ)
- البرهان في علوم القران، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي , تحقيق أبو الفضل ابراهيم , (المكتبة العصرية –بيروت)
- بصائر ذووي التمييز،مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي , تحقيق الأستاذ محمد علي النجار (المكتبة العلمية , بيروت –لبنان)
- بهجة الخاطر ونزهة الناظر في الفروق اللغوية ولاصطلاحية،الشيخ يحيى بن حسين .....البحراني (القرن العاشر الهجري) تحقيق السيد امر رضا عسكري زاده (ط١,الإستانة الرضوية, مشهد-ايران-١٤٢٦هـ)
- تاج العروس ،السيد محمد مرتضى الزبيدي ، (دار ليبيا للنشر ، بنغازي ، ٢٠٠٥م)
- التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٢٦هـ)،(دار احياء التراث العربي ،بيروت ،لبنان)
- التعريفات الجرجاني ،لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف ،(دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد ،العراق،١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)
- تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،للقاضي ابي السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٨٢هـ)، تحقيق : عبد اللطيف عبد الرحمن ،(ط١ ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م)
- تفسير البصائر ، لأبي محمد يعسوب الدين رستكاره الجويباري , (ط١, مطبعة فروردين, قم – ايران)
- تفسير جوامع الجامع ، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، تحقيق وطبع مؤسسة النشر الاسلامي (ط٢ ،١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القران، الشيخ محمد الأمين بن عبد الله الارمي العلوي الهروي الشافعي ،اشراف ومراجعة :د هاشم محمد علي بن حسين مهدي ،(ط١ ،دار طوق النجاة بيروت ،لبنان ،١٤٢١هـ- ٢٠٠١م)
- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٢٢هـ), تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (دار احياء التراث العربي , بيروت –لبنان , ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م)
- التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية, (دار الكتاب العربي , (١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م)
- التفسير الكبير تفسير القران العظيم ، الامام الطبراني , تحقيق هاشم البدراني ,(ط ١, دار الكتاب الثقافي - الاردن ,٢٠٠٨م)
- التفسير الكبير ، الامام الفخر الرازي , (ط٢, دار الكتب العلمية , طهران)
- التفسير القران العظيم ،لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) , تحقيق : سامي بن محمد السلامة , (ط٢, دار طيبة , الرياض – السعودية, ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م)
- تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب،الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي , (ط١, وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي , ايران)
- تفسير المظهري، للقاضي محمد ثناء الله العماني الحنفي المظهري النقشبندي , (ت ١١٢٥هـ) , تحقيق احمد عزو عناية (دار احياء التراث العربي , بيروت – بيروت)
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،الاستاذ الدكتور وهبه الزحيلي (ط١, دار الفكر المعاصر , بيروت – لبنان , ١٤١١هـ -١٩٩١م)

- الجامع لأحكام القران والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان،لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي(١٦٧١ هـ)، تحقيق:دعبد الله بن عبد المحسن التركي(ط١،مؤسسة الرسالة ،١٤٢٧ هـ/٢٠٠٦ م) .
- حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي،عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي (ت ١١٩٥هـ)،(ط١، دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان ،١٤٢٢هـ -٢٠٠١م)
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية،الدكتور عبد العظيم ابراهيم المطعنى ،(ط١،مكتبة وهبة ،القاهرة ،١٤١٣هـ -١٩٩٢ م)
- دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني،الدكتور أحمد جمال العمري ،(ط٢،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)
- روح البيان في تفسير القران،الشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي البروسوي (ت ١١٢٧ هـ)، تحقيق : عبد اللطيف حسن عبد الرحمن ،(ط١،دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان ،١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)
- روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني،لأبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧هـ)، تحقيق: محمد احمد الآمد ،عمر عبد السلام السلامي (ط١،دار احياء التراث العربي ،ومؤسسة التاريخ العربي ،بيروت – لبنان ،١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)
- الصحاح ، إسماعيل بن حماد الجوهري(٣٩٣هـ) ،تحقيق أحمد عبد الغفور عطار(دار العلم للملايين ، القاهرة،١٣٧٦هـ ــ ١٩٥٦م)
- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ،عبد الرحمن بن حنبكة الميداني (ط٤ ،دار القلم ، دمشق ،١٤١٤هـ ــ ١٩٩٣م)

- عقود المرجان في تفسير القرآن،السيد نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢هـ)، تحقيق: مؤسسة شمس الضحى الثقافية ،(احياء الكتب الاسلامية ،ايران- قم)
- فتح البيان في مقاصد القرآن ،لأبي الطيب صديق بن حسن علي الحسيني القنوجي (ت ١٣٠٧هـ)، تحقيق: ابراهيم شمس الدين ،(ط١،دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)
- الفروق ، لابن قيم الجوزية ،جمع وترتيب يوسف الصالح(ط١ ، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م)
- الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري ، تحقيق محمد ابراهيم سليم(دار العلم والثقافة ، القاهرة ،١٤١٨هـ ــ ١٩٩٧م)
- في ظلال القرآن، سيد قطب ، (ط٣٥ ، دالر الشروق ،بيروت ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م)
- القصص القرآنية ، أية الله جعفر سبحاني (ط١،دار جواد الائمة ،بيروت – لبنان ،١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ،للعلامة محمد علي التهانوي ، تحقيق د علي دحروج (ط١،مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ــ لبنان، ١٩٩٦م)
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،محمود بن عمر الزمخشري،ضبط وتوثيق : ابي عبد الله الداني ، (ط١،دار الكتاب العربي ،بيروت ،١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)
- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)،لأبي البقاء أيوب بن سوس الحسيني الكفوي ،قابله على نسخة خطية واعده للطبع ووضع فهارسه: الدكتور عدنان درويش ،محمد المصري ،(ط٢ ،١٤١٣هـ -١٩٩٢م)
- لسان العرب ،لابن منظور ، (دار المعارف ، القاهرة)

- لماذا تتكرر قصص الانبياء في القرآن الكريم ، عبد النبي علي الدرازي ،(ط١،مكتبة الفخراوي ،البحرين ،١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)
- مجمع البيان في تفسير القرآن والفرقان، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ،(ط١ ،مطبعة اسوة ،١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م)
- المحرر الوجيز في تفسير القران ، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الاندلي (ت ٥٤٦هـ)، تحقيق : عبد الله بن ابرهيم الانصاري ،السيد عبد العال السيد إبرهيم ،(ط٢)
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، العلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، (ط٥ ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٢٢)
- معارج التفكير ودقائق التدبير ، عبد الرحمن حسين حنبكة الميداني ،(ط١، دار القلم ،دمشق ،١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي،(ط٢، دار الحديث، القاهرة، ١٩٨٨م)
- المعجم المفهرس للتراكيب المتشابهات في القران الكريم ،د محمد زكي محمد خضر (ط١،دار عمار،عمان ،الاردن ،١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)
- منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ،الدكتور عثمان بن علي حسن (ط٢ ،مكتبة الرشد ،الرياض ، السعودية ،١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)
- منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد ، الدكتور عثمان بن علي حسن (ط١ ،دار اشبليا ،الرياض ،السعودية ،١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)
- المنطق والاصول طرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطقه والاصوليين ، الدكتور يعقوب بن عبد الوهاب الباحين ،(ط٢،مكتبة الرشد ،الرياض ،١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)
- الميزان في التفسير القرآن ، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ،(ط١،مؤسسة الاعلمي ،بيرت ،لبنان ،١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)
- الهداية الى بلوغ النهاية ، مكي بن ابي طالب القيسي(ت ٤٣٧هـ)،(ط١،جامعة الشارقة،الامارت العربية المتحدة ،١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)

المجلات والدوريات

- رسالة القرآن ، نشرة فصلية تعنى بالشوؤن القرآنية تصدرها دار القرآن الكريم ، العدد الأول ،(محرم – صفر - ربيع الأول) ١٤١١هـ

الرسائل والاطاريح الجامعية

- الاستدلال في كتاب نهج البلاغة (دراسة اسلوبية)
فاطمة كريم رسن حمد ، اطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات
- منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة
مجاهد محمود أحمد ناصر ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين

الدراسات والبحوث الألكترونية

- الاستدلال في القرآن الكريم منهجه ومميزاته ،د. سامي عفيفي حجازي ، موقع الجامعة الاسلامية ،
www.u-ot-islam.net